

معركة اليمامة

دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش

معارك
وبطولات حربية
اسلامية وعربية

معركة
اليمامة

دار الشرق العربي
بيروت - شارع سورية - بناية درويش

بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيم

المقدمةُ

بدأتِ الرِدّةُ في زمنِ الرسولِ صلى الله عليه وسلمَ، حيثُ استغَلَ المرتدونَ، وكانتْ غالبيتهمْ من الكُهّانِ عدمَ رسوخِ الإسلامِ وضَعْفِ إيمانِ القبائلِ. والروحَ الأقْليميةَ.

غيرَ أن الارتدادَ زمنَ الرسولِ لم يكنْ واسعاً. لكنهُ توسعَ بعدَ وفاةِ الرسولِ. إذ أنَّ القبائلَ العربيةَ بطبيعتِها لا تحبُّ الخضوعَ للسلطةِ حيثُ تميلُ إلى الحريةِ والولاءِ للقبيلةِ دونَ سواها.

وبعدَ وفاةِ الرسولِ عَمّتِ الفوضى شبهَ الجزيرةِ العربيةِ. وسادَها الارتدادُ، حيثُ أفلحَ زعماءُ الارتدادِ بإقناعِ أبناءِ قبائلهمْ ومُشايعيهمْ في التخلصِ من سلطانِ المدينةِ (يثربَ) وإمرةِ أبي بكرٍ، وإمرةِ ولاتِهِ.

وقدْ تمكنتِ الجيوشُ الإسلاميةُ من القضاءِ على زمرِ المرتدينَ بفضلِ وحدةِ الهدفِ وتوفرِ قادةٍ عباقرةٍ صناديدَ منهمْ خالدُ بنُ الوليدِ وغيرُهُ من الأبطالِ.

وكان لحزمِ الخليفةِ أبي بكرٍ وعدمِ تهاونِهِ تُجاهَ الأخطارِ المحدقةِ بالمبادىء الإسلاميةِ، وللصلابةِ التي اتصفَ بها أبو بكرٍ حيالَ محاربةِ المرتدينَ أثرٌ كبيرٌ في نجاحِ الجيوشِ الإسلامية حيثُ انقضَّ خالدُ بنُ الوليدِ على مسيلمةَ بنِ حبيبٍ المتنبىءِ الكذاب وعلى قومهِ بني حنيفةَ ومزقهمْ كلَّ ممزَّقٍ في معركةِ اليمامةِ الحاسمةِ.

إنهُ الحزمُ، ذلكَ العلاجُ الناجع، هو الذي مكَّنَ أبا بكرٍ من إعادةِ الأمورِ الى نصابِها، وحفظَ الإسلامَ والمسلمينَ من فتنٍ ملأتْ شعابَ شبهِ الجزيرةِ العربيةِ، وكلُّ هذهِ الفتنِ ذابتْ وتلاشتْ أمامَ حزمِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ.

في تاريخنا الحاضرِ نشاهدُ المآسيَ على ساحاتِ وطننا العربيِّ فنذهبُ نشكو الى مجلسِ الأمنَ ولا نخجلُ أننا نزيدُ على المئةِ والخمسينَ مليوناً وتسحقنا إسرائيلُ ولا يزيدُ عددها على ثلاثةِ ملايينَ ونذهبُ الى مجلسِ الأمنِ نبكي ونشكوا ونقولُ: يا مجلسَ الأمنِ إنَّ اليهودَ اعتدَوْا علينا، وقتلوا أطفالنا وهتكوا أعراض نسائنا، و يداري مجلسُ الأمنِ دموعَنا بلا جدوى، وهو في قرارةِ نفسهِ يحتقرنا و يسوءهُ أن نكونَ متقاعسينَ عن الدفاعِ عن أوطانِنا وديارِنا وحرماتِنا.

لو أننا كنا تسلحنا بحزمٍ مثلِ حزمِ أبي بكرٍ وشجاعةٍ كشجاعةِ

خالدٍ، وتصميمٍ كتصميم نُسيبةَ وولدها عبدِ اللهِ لما حلَّ بنا في فلسطينَ ما حلَّ، فمتى يعودُ إلينا حزمُنا وإيمانُنا بحقِنا، ومتى نعتمدُ بعدَ اللهِ على أنفسنا، ومتى يستيقظُ العربُ كلُّ العربِ على واقعِهم الأليم؟.

إننا لن نموتَ ولن يفرحَ اليهودَ بإذلالِنا وقهرِنا طويلاً فأمتنا ما فَقَدَتْ رجولتَها ولا صفاتِها الأصيلةَ، وإنها حينَ تجتمع الكلمةُ فسوف تصنعُ المعجزاتِ.

لقد مَرَّتْ على أمتنا عهودٌ تفرقتْ فيها كلمتِها وتعددتْ دولها وتناحرتْ جموعُها، وعدا عليها الاستعمارُ الأوروبي بحملاتٍ سُمِّيَتْ بالحملاتِ الصليبيةِ، ولكن صلاحَ الدينِ الأيوبيَّ دفنَ راياتِ الصليبيينَ المستعمرينَ في حطينَ.

ونحنُ لا نشكُّ أبداً في الروحِ البطوليةِ لدى أبناءِ أمتنا، وفي روحِ البذلِ والعطاءِ في سبيلِ كرامةِ هذهِ الأمةِ وشرفِها فإنَّ النارَ المشبوبةَ في نفوسِ أبناءِ هذهِ الأمةِ لن تخمدَ أبداً إنها نارُ الأباءِ والفداءِ والتضحيةِ والنجدةِ، والويلُ كلُّ الويلِ للصهاينةِ يومَ يحزمُ العربُ أمرهمْ ويندفعونَ نحو أعدائِهم المجرمينَ.

إن نيرانَ الثأر من اليهودِ الظالمينَ ستنفجرُ بركاناً مستقراً، ولن يبقَ المسجدُ الأقصى أسيرَ المنكرِ والهوانِ، وسيهبُّ إخوانُنا المسيحيونَ

معنا يداً بيدٍ وكتفاً الى كتف لإنقاذِ مهدِ المسيح عيسى عليهِ السلامُ، فإذا كانتْ أوروبا المسيحيةُ تقفُ اليومَ متفرجةً على انتهاكِ اليهودِ لمقدساتِها ولا تتحركُ روما. فسيأتي اليومُ الذي سنكونُ فيه جميعاً يداً واحدةً وصفاً واحداً.

في حرب الخندقِ هاجمَ المشركونَ المدينةَ (يثربَ) فحفرَ المسلمونَ خندقاً حولَها واشتركَ النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ في حفرِ الخندقِ، وحملَ الترابَ، وتجمعتْ قريشُ تريدُ القضاءَ على محمدٍ صلى الله عليه وسلمَ وأتباعِهِ وأحسَّ بالأمرِ المنافقونَ من سكانِ المدينةِ فتراجعوا عنِ القتالِ وغدرَ اليهودُ بالنبيِّ فنقضوا العهدَ الذي كانَ بينَهُ وبينهمْ، واجتمعَ على المسلمين العدوُّ القويُّ والبردُ والجوعُ وخيانةُ الحليفِ وتثبيطُ المنافقِ، ولكنَّ رسولَ اللهِ صبرَ على الحصارِ، وصمدَ للهجومِ، وقاتلَ بالسلاحِ والحيلةِ فانتصرَ، واندحرَ المشركونَ.

إن السنينَ المقبلةَ وقد تصبحُ السنونَ أياماً تحملُ إلينا أخطاراً جسيمةً قد تكونُ أدهى مما أصابنا حتى اليومِ، فلنكنْ يقظينَ ولنتنبهْ، ولنعتمدْ على أنفسنا بعدَ إعتمادِنا على اللهِ ولن يكونَ اليهودُ اليومَ أشدَّ ضراوةً من بني حنيفةَ في اليمامةِ، فإلى الأمامِ، واللهُ معنا ولنْ يخذلَنا أبداً.

حلب ١٩٨٢/٦/٢ — علي رضا

تمهيد

بعدَ أنْ أنتقلَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلمَ الى جوارِ ربهِ اجتمعَ المهاجرونَ والأنصارُ في سقيفةِ بني ساعدةَ الواقعةِ في جوارِ سوقِ المدينةِ المنورةِ، وهيَ عبارةٌ عن ظلّةٍ واسعةِ الجوانبِ وتقعُ في أرضِ بني ساعدةَ من الخزرجِ، وكانتْ من الأمكنةِ التي اعتادَ أهلُ المدينةِ الإجتماعَ إليها والتشاورَ في شئونهمِ الخاصةِ والعامةِ فهيَ تشبهُ دارَ الندوةِ لدى قريشِ مكةَ.

وخلالَ الإجتماعِ بدتْ بوادرُ نزاعٍ بينَ المهاجرينَ والأنصارِ حولَ من يخلفُ رسولَ اللهِ صلى

اللهُ عليه وسلمَ في رعايةِ شؤونِ الدولةِ الحديثةِ وأخيراً خطبَ أبو بكرٍ الصديقُ رضيَ اللهُ عنهُ فقالَ بعدَ أنْ حَمِدَ اللهُ وأثنى عليهِ.

إنَّ اللهَ بعثَ محمداً رسولاً الى خلقِهِ وشهيداً على أمتِهِ ليعبدوا اللهَ و يوحدوهُ، وهمْ يعبدون آلهةً شتىٰ. و يزعمون لهم شافعة ولهم نافعة، وإنما هيَ مِنْ حجرٍ منحوتٍ وخشبٍ منحوتٍ، ثم قرأ: و يعبدونَ من دونِ اللهِ ما لا يضرهمْ ولا ينفعهمْ و يقولونَ هؤلاءِ شفعاؤنا عندَ اللهِ: قالوا: ما نعبدهمْ إلاّ ليقربونا الى اللهِ زُلْفىٰ.

فعظمَ على العربِ أنْ يتركوا دينَ آبائهمْ، فخصَّ اللهُ المهاجرينَ الأولين من قومِهِ بتصديقِهِ، والإيمانِ بهِ والمؤاساةِ لهُ والصبرِ معهُ على شدةِ أذى قومهمْ لهمْ وتكذيبهمْ إياهمْ وكلُّ الناسِ لهمْ مخالفٌ، زارٍ عليهمْ

فلم يستوحشوا لقلةِ عددهمْ، وإجماعِ قومهم عليهمْ، فهمْ أولُ مَنْ عبدَ اللهَ في الأرضِ وآمَنَ باللهِ وبالرسولِ. وهمْ أولياؤه وعشيرتُهُ، وأحقُ الناسِ بهذا الأمرِ من بعدهِ، ولا ينازعهمْ ذلكَ إلا ظالمٌ.

وأنتمْ يا معشرَ الأنصارِ من لا يُنْكَرُ فضلهُمْ في الدينِ ولا سابقتُهمْ العظيمةُ في الإسلامِ، رضيَكم اللهُ أنصاراً لدينهِ ورسولهِ، وجعلَ إليكمْ هجرتَهُ، وفيكم جلةُ أزواجهِ وأصحابهِ، فليسَ بعدَ المهاجرينَ الأولينَ أحدٌ عندنا بمنزلتِكُمْ فنحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ، لا تُفتَاتُوْنَ بمشورةٍ ولا تقضى دونكمُ الأمورُ.

فقامَ الحُبابُ بنُ المنذرِ فقالَ: لا واللهِ لا نفعلُ منّا أميرٌ ومنكمْ أميرٌ، فقال أبو بكرٍ: لا، ولكننا الأمراءُ وأنتمُ الوزراءُ، ولنْ يُعْرَفَ هذا الأمرُ إلى لهذا الحيِّ من قريشٍ هُمْ أوسطُ العربِ داراً، وأعربُهم

أحساباً، فقامَ الحُبابُ بن المُنذرِ فقالَ: يا معشرَ الأنصارِ: إملكوا عليكمْ أمرَكُمْ، فإنَّ الناسَ في فيئِكم وفي ظِلكُمْ ولنْ يجترىءَ مجترىءٌ على خلافِكُمْ، ولن يصدُرَ الناسُ إلّا عن رأيكمْ! أبَىٰ هؤلاءِ إلاّ ما سمعتمْ، فمنا أميرٌ ومنهمْ أميرٌ فقالَ عمر: هيهاتَ! لا يجتمعُ إثنانِ في قَرَنٍ (أي الحبل ويقصدُ بهِ لا يجتمعُ أميرانِ على دولةٍ) واللهِ لا ترضىٰ العربُ أنْ يؤمروكمْ ونبيُّها من غيرِكمْ، ولكنَّ العربَ لا تمتنعُ أن تولي أمَرها من كانتِ النبوةُ فيهمْ، ووليُّ أمورِها منهم، ولَنا بذلكَ على مَنْ أبىٰ من العربِ الحجةُ الظاهرةُ والسلطانُ المبينُ....

فقام الحبابُ بنُ المنذرِ فقالَ: يا معشرَ الأنصارِ: إملكوا على أيديكمْ ولا تسمعوا مقالةَ هذا وأصحابهِ فيذهبوا بنصيبكمْ من هذا الأمرِ، فإنْ أبَوا عليكمْ مَا

سألتموهُ فأَجْلوهُمْ عن هذهِ البلادِ وتولَّوْا عليهمْ هذهِ الأمورَ فأنتمْ واللهِ أحقُ بهذا الأمرِ منهمْ، فإنْه بأسيافكُم دانَ لهذا الدينِ منّ دانَ مِمّنْ لم يكنْ يدين،

فقالَ أبو عبيدةَ: يا معشرَ الأنصارِ إنكمْ أولُ مُنْ نصرَ وآزرَ. فلا تكونوا أولَ مَنْ بدّلَ وغَيّرَ.

وقالَ بشيرُ بن سعدٍ وهو من الأنصارِ يا معشر الأنصارِ؟ إنّا واللهِ لئنْ كنّا أولي فضيلةٍ في جهاد المشركينَ وسابقةٍ في هذا الدينِ ما أردنا بهِ الا رضا ربنا، وطاعةَ نبينا، والكدحَ لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناسِ بذلكَ. ولا نبتغي بهِ من الدنيا عَرَضاً، فإنَّ اللهَ وليُّ المنّةِ علينا بذلكَ، ألا إنَّ محمداً صلى الله عليه وسلمَ من قريشٍ وقومُهُ أحقُّ بهِ وأولى، وأيْمُ اللهِ لا يراني اللهُ أنازعُهمْ هذا الأمرَ

أبداً، فاتقوا اللهَ ولا تخالفوهمْ، ولا تنازعوهمْ، فقالَ أبو بكرٍ: هذا عمرُ، وهذا أبو عبيدةُ (بنُ الجراحِ)، فأيَّهما شئتمْ فبايعوا فقال عمرُ: لا واللهِ! إنكَ أفضلُ المهاجرينَ، وثاني أثنينِ إذ هما في الغارِ وخليفةُ رسول الله على الصلاةِ، فمَنْ ذا ينبغي لو أنْ يتقدمَكَ أو يتولّى هذا الأمرَ عليكَ، أبسطْ يدَكَ نبايعكَ، فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما بشيرُ بنُ سعدٍ فبايعهُ. وازدحمَ الناسُ على البيعةِ. وأقبلَ الناسُ يبايعونَ أبا بكرٍ ولم يخالفْ عليهِ أحدٌ سوى سعدِ بنِ عبادةَ مرشحِ الأنصار للرئاسةِ.

واستطاعَ أبو بكرٍ بحذقهِ وسياستهِ الحكيمةِ ومساعدةِ عمرَ وأبي عبيدةَ أن يقضوا على هذهِ الفتنةِ التي كادتْ أنْ تهددَ الدولةَ الإسلاميةَ الناشئةَ في أحرجِ ظروفِها.

نتائجُ اجتماعِ السقيفةِ

أولُ هذهِ النتائجِ هيَ الشورى التي بدتْ في مبايعةِ أبي بكرٍ الصديقِ، إذ عُرِضتْ المسألةُ على بساطِ البحثِ وأدلىٰ كلٌّ برأيهِ، ثم تغلَّبَ رأيُ المهاجرينَ فبويعَ أبو بكرٍ.

الثانيةُ: سَنَّتِ السقيفةُ مبدأ الانتخابِ المباشرِ لأصلحِ الموجودينَ من كبارِ رجالِ الدولةِ.

الثالثةُ: البيعةُ: وهيَ أنْ يصافحَ الناسُ أميرَهمْ علامةً على الموافقةِ على إمارتهِ.

الرابعةُ: لقد سَنَّتِ السقيفةُ أن يتقدمَ رئيسُ

الدولةِ بخطابٍ يلقيهِ على الناسِ، يبينُ فيهِ منهجهُ وخطتهُ في الحكمِ. ليطمئنَّ إليهِ الناسُ ويعرفوا مَسْلكَهُ في الحكمِ وقد ظلَّ هذا المبدأ سارياً الى الآن.

غيرَ أن الصفَّ الإسلاميَّ منذُ يومِ السقيفةِ قد اهتزَّ هزةً عنيفةً ونشأ عن ذلكَ إنقسامُ الناسِ الى فريقيينِ، الأنصارِ، والمهاجرينَ ثم نشأَ انقسامٌ آخرُ إذ وُجدَ فريقٌ يرى أن تكونَ الخلافةُ في آلِ البيتِ وكانَ على رأسِ آلِ البيتِ عليُّ بنُ أبي طالبٍ زوجُ فاطمةَ بنتِ النبيِّ صلى الله عليه وسلمَ.

وبعدَ يومين من وفاةِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلمَ أي في ١٤ ربيع الأول سنة ١١ من الهجرةِ التي توافقُ العاشرَ من حزيرانَ /٦٣٢م/. أقبلَ الناسُ من كلِّ حدبٍ وصوبٍ يبايعونَ أبا بكرٍ بيعةً عامةً إذ

عرضَ أبو بكرٍ ما تمَّ في يومِ السقيفةِ فجددوا البيعةَ.

وكانَ عمرُ قد تكلمَ حولَ موضوعِ البيعةِ ودعا لبيعةِ أبي بكرٍ فلما بايعهُ الناسُ قامَ أبو بكرٍ على المنبرِ فحمدَ اللهَ واثنى عليهِ بالذي هو أهلُهُ، ثمّ قالَ:

«أمّا بعدُ: أيها الناسُ فإني قد ولّيتُ عليكمْ ولستُ بخيركمْ، فإنْ أحسنتُ فأعينوني وإن أسأتُ فقوموني: الصدقُ أمانةٌ، والكذب خيانةٌ، والضعيفُ فيكم قوي عندي حتى أردَ عليهِ حقَّهُ إن شاءَ اللهُ، والقويُّ منكمْ ضعيفٌ عندي حتى آخذَ الحقَّ منهُ إن شاءَ اللهُ، لا يدعُ أحدٌ منكم الجهادَ في سبيلِ اللهِ، فإنهُ لا يدعُهُ قوم إلّا ضربهمْ اللهُ بالذلّ ولا تشيعُ الفاحشةُ في قومٍ إلّا عمهم اللهُ بالبلاءِ، أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولهُ، فإذا عصيتُ اللهَ ورسولَهُ. فلا طاعةَ لي عليكمْ، قوموا إلى صلاتِكُمْ رحمكمُ اللهُ».

هذا هوَ منهجُ أبي بكرٍ في الحكم قدمَهُ بين يدي المسلمينَ.

كان الخليفةُ الجديدُ لينَ الجانبِ، كريمَ الشمائلِ، حتىٰ أسلمَ على يديهِ رجالٌ من أعظمِ المسلمينَ، منهم: عثمانُ ابنُ عفانَ. وطلحةُ بنُ عبيدِ اللهِ، وسعدُ بنُ أبي وقاصٍ، والزبيرُ بنُ العوامِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ.

وكانَ أبو بكرٍ كريماً أنفقَ من مالِهِ مبالغَ طائلة في سبيلِ الدعوةِ الى الدينِ الجديدِ. ومن شجاعتهِ أنه كانَ يحرسُ النبيَّ صلىٰ الله عليه وسلمَ في غزوةِ بدرٍ.

وقد تمتْ بيعةُ أبي بكرٍ يومَ وفاةِ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلمَ في ١٢ ربيع الأول سنة ١١هـ

الموافق ٨ من حزيران /٦٣٢م/. وحينَ جلسَ أبو بكرٍ للبيعةِ أقبلَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ فبايعهُ مع الناسِ ووقفَ الى جانبهِ في حروبِ الردّةِ كلها، ولم يتخلف عن المبايعةِ كما يدعي بعضُ الرواةِ، فقدْ كانَ رضيَ اللهُ عنهُ من خيرةِ المؤمنينَ ليسَ أولئكَ المتملقينَ الذين يأكلونَ بالدينِ و يعيشونَ بالمداراةِ، و يبنون مجدَهُمْ على النفاقِ والمخادعةِ وهو لا يداهنُ في دينِ اللهِ ولا يقبلُ غير الحقّ، ولو كلفهُ دفاعُهُ عن الحقّ ثمناً غالياً.

وكانَ أبو بكرٍ ورعاً، دفَعَهُ ورعهُ الى أن يقومَ بمهامِّ الخلافةِ بأجْرٍ أجرٍ ضئيلٍ لا يذكرُ.

حروب الردّةِ

حينَ قامَ النبيّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ بنشرِ رسالتِهِ ألغى الامتيازاتِ بينَ الجماعاتِ والأفرادِ، فالناسُ سواسيةٌ كأسنانِ المشطِ، كما أمرَ بهدمِ الأصنامِ، وألغى أعمالَ سدنتها.

والواقعُ أنَّ كثيرينَ من الذينَ دخلوا في الإسلامِ حديثاً لم يدخلِ الإيمانُ قلوبَهمْ فظلوا عرضةً للردَّةِ، فحينَ وُجدَ من بينِ العربِ من اسخطهُ الدينُ الجديدُ أمثالَ مسليمةَ الكذابِ وغيرِهِ وجدوا حولهمْ من يستجيبُ لهمْ فارتدَّ كثيرونَ عنِ الإسلامِ، كما أنَّ هذه المساواةَ في الإسلامِ لم ترقْ للكثيرينَ ممَّنْ تعودوا أن يكونوا في مواضعِ السلطة والأمرِ فهمْ لا

يريدونَ أن تسودَ فكرةُ تكافؤِ العرضِ. وهناكَ عددٌ كبيرٌ من المنافقينَ وعددٌ أكثرُ من الأغنياءِ السَاخطينَ الذينَ كرهوا أن يدفعوا الزكاةَ والصدقاتِ، وهناكَ كذلكَ طبقةُ المنتفعينَ بخدمةِ الأصنامِ، ورؤساءُ القبائلِ ووجدَ اليهودُ فرصةً سانحة لتقويضِ دعائمِ الدينِ الجديدِ.

وسعتْ دولتا الفرسِ والروم سعْيَهما وحركتْ عملاءهَما فأخذوا يندسونَ في المجتمعاتِ يشجعونَ الناسَ على الرِدّةِ عن الدينِ كلُّ هذا وأمثالهُ كانتْ أسباباً للرِدّةِ والأنفصالِ وتمزيقِ الوحدةِ التي حققَها الإسلامُ. فالردَّةُ في حدّ ذاتِها حركةٌ رجعيةٌ إنفصاليةٌ وارتدادُ عن العاداتِ العربيةِ الأصيلةِ في الكرم. ورفضٌ للتعاونِ الذي جاءَ بهِ الدينُ الإسلاميُّ «وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثمِ والعدوانِ».

كما أن الرِدّةَ رجعةٌ إلى سيطرةِ الحكامِ القبليينَ وإلى سيطرةِ الكهّانِ.

والذي زادَ الطينَ بِلّةً وساعَدَ على تقويةِ الرِدّةِ وجودُ بعضِ ذوي المطامعِ ومحبي السلطةِ فهؤلاءِ حاولوا أنْ يحلّوا محلَّ النبيِّ صلى الله عليه وسلمَ في قيادةِ العربِ وادعاء النبوةِ، واعتمدوا على قبائلهمْ، فخرجَ من بني حنيفةَ وهي قبائلُ قويةٌ تسكنُ اليمامةَ (واقعةٌ ما بينَ الحجازَ والبحرين) من يَدَّعي النبوةَ وهو مُسيلمةُ الكذابُ الذي حاولَ في حياةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلمَ أن يكونَ شريكَ الرسولِ في النبوةِ، فرفضَ النبيِّ عليه السلامُ هذا الادعاء السخيفَ ودعاهُ منذُ ذلكَ اليوم بمسيلمةَ الكذابِ. وقامَ في نجدٍ طليحةُ الأسديُّ وجمعَ له أتباعاً، كلاهما فَعلا ما فعلا في حياةِ الرسولِ صلى الله عليه وسلمَ

وظلَّ هذان الكذابان مغلوبينِ على أمرهما مع تظاهرِهما بالإسلامِ والطاعةِ.

وخرجَ الأسودُ العنسيُّ في اليمنِ وادّعى النبوةَ، والتفَّ حولهُ خلقٌ كثيرٌ، فأغارَ على منْ بجوارِهِ من المسلمينَ وكانَ قد أباحَ المحرماتِ فتبعهُ كثيرونَ مِمّنْ يحبونَ الفوضى والإباحيةَ، واستطاعَ أن يسيطرَ على اليمنِ، وأن يطردَ الولاةَ الذين أرسلهمْ النبيُّ إلى اليمنِ حتى أن الموفدَ الذي أرسلهُ الرسولُ إلى اليمنِ وهو معاذُ بنُ جبلٍ اضطرَّ إلى مصاهرةِ إحدى القبائلِ القويةِ ليأمَن شرَّ الأسودِ العنسيِّ.

وظلَّ الأسودُ العنسيُّ يشكلُ خطراً على الدعوةِ الإسلاميةِ في اليمنِ زمناً طويلاً.

وولى الرسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ على اليمنِ

رجلاً أسمهُ باذامَ، فارسيَّ الأصلِ فلما ماتَ باذامُ خلفهُ في ولايةِ اليمنِ ابنُهُ شهر وقد اتخذَ صنعاءَ عاصمةً لهُ.

ونشبَ القتالُ بينَ الأسودِ العنسيِّ و (شهر) والي اليمنِ فقُتِلَ شهرُ وتزوجَ الأسودُ إمرأةَ (شهر) وهي فارسيةُ الأصلِ أيضاً، وقد دبرتْ هذهِ المرأةُ مؤامرةً لاغتيالِ الأسودِ قاتلِ زوجِها وتخلصتْ صنعاءُ من شرهِ، وتم ذلكَ قبيلَ وفاةِ النبيِّ بأيامٍ.

معركةُ اليمامةِ

بعدَ أن اختِيرَ أبو بكرٍ الصديقُ ليكونَ خليفةً جاءتْ الأخبارُ إلى المدينةِ من جميعِ الأنحاءِ بتمردِ القبائلِ، وارتدادِها عن الإسلامِ وأن بعضَها يحاولُ تطويقَ المدينةِ، وهدمَ الدولةِ الإسلاميةِ.

أستشارَ الخليفةُ كبارَ المسلمينَ بعدَ أنْ عرضَ عليهمْ ما وصلهُ من أخبارِ الردّةِ، فأشارَ أكثرهمْ بتركهمْ حتى تهدأ فورتُهُمْ، حتى قالَ بعضهمْ إنهُ ما دامَ هؤلاءِ قد رفضُوا دفعَ الزكاةِ، وأقروا بالمباديء الأخرى فلا داعيَ لقتالِهمْ.

رفضَ أبو بكر هذهِ الآراءَ وقالَ إنَّ الإسلامَ

بأصولِهِ ومقوّماتِهِ كلٌّ لا يتجزأ، فأما أنْ تعملَ بهِ جملةً أو أنْ تتركهُ جملةً ولا ثالثَ لهما، إلا مَنْ أكرِهَ واضطُرَّ غيرَ باغٍ ولا عادٍ، فلهؤلاءِ وضع آخرُ.

وأعلنَ أبو بكرٍ التعبئةَ العامّةَ لقتالِ المرتدينَ الذينَ أعلنوا العصيانَ، ورأى أبو بكرٍ أَنْ يضربهمْ في وقتٍ واحدٍ وأن يهاجمهمْ في عقرِ دارِهمْ، فقسمَ الجيشَ إلى إحدى عشرةَ فرقةً أرسلَها إلى النواحي التي حدثَ فيها العصيانُ وزُودَ القوادُ (بمنشور) وجههُ إلى المرتدّينَ، فوعظهم باللهِ وذكّرهمْ بآياتِهِ، وأبانَ لهمْ أنَّ الرسلَ بشرٌ كسائرِ البشرِ، وأنَّ اللهَ أرسلهمْ للإصلاحِ وأنهمْ يموتونَ كما يموتُ الناسُ جميعاً وأنَّ اللهَ هو وحدَه الباقي (لأنَّ المرتدينَ كانوا قد قالوا حين توفي رسولُ اللهِ: لو كانَ نبياً ما ماتَ). ثم قالَ لهم في (المنشورِ) إني بعثتُ إليكم (فلاناً)

في جيشٍ من المهاجرينَ والأنصارِ والتابعينَ بإحسانٍ، وأمرتُهُ ألاّ يقاتلَ أحداً ولا يقتلهُ حتى يدعُوَهُ إلى داعيةِ اللهِ، فمنِ استجابَ لهُ وأكثرَ وكفَّ وعملَ صالحاً قَبِلَ منه وأعانَهُ عليهِ ومَنْ أبى أمرتُ أنْ يقاتلَهُ على ذلكَ.

وكان مسيلَمَةُ بنُ حبيبٍ قد خرجَ في اليمامةِ (وهي مدينةٌ بين الحجازِ والبحرينِ وهي إلى البحرينِ أقربُ) مدعياً النبوةَ وكانَ قد وَفَدَ على رسولِ اللهِ في حياتِهِ مع جماعةٍ من بني حنيفةَ وبني تميمٍ فأسلموا جميعاً، وعادوا إلى بلادهمْ، فلما انتهَوْا إلى اليمامةِ ارتَدَّ مسيلمةُ، وقالَ لقومِهِ إني قد أشْرِكتُ في الأمرِ مع الرسولِ وجعل يتلو عليهمْ كلاماً و يدَّعي أنهُ وحيٌ أوحِيَ إليهِ، مِنْ ذلكَ قولُهُ (يا ضفدعُ كم تنقيْنَ، أعلاكِ في الماءِ وأسفلكِ في الطينْ، لا الماء

تكدرينْ ولا الشارب تمنعينْ، إصبري حتى يأتيكِ.
الخفاشُ بالخبرِ اليقينْ) وغيرُ ذلكَ من الكلامِ
السخيفِ التافهِ.

وقد كتبَ يومئذٍ إلى رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ
وسلمَ هذهِ الرسالةَ:

«منْ مسيلمةَ رسولِ اللهِ إلى محمدٍ رسولِ اللهِ،
سلامٌ عليكَ، أما بعدُ: فإني قدْ أشْرِكْتُ في الأمرِ
معكَ، وإلاَّ لنا نصُفَ الأرضِ، ولقريشٍ نصف
الأرضِ، ولكنَّ قريشاً قومٌ لا يعدلونَ».

وقدمَ على النبيِّ صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ رسولانِ
بهذا الكتابِ، فقالَ لهما النبيُّ حينَ قرأ كتابَ
مسيلمةَ: فما تقولانِ أنتما؟ قالا: نقول مثلَ ما قالَ:
فقال النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: أما واللهِ لولا أنَّ
الرسلَ لا تُقْتَلُ لضربتُ عنقيكما.

ثم كتبَ النبيُّ إلى مسيلمةَ «بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ، من محمدٍ رسولِ اللهِ إلى مسيلمةَ الكذابِ، سلامٌ على من اتبَعَ الهدى، أما بعدُ فإِنَّ الأرضَ للهِ يورثُها من يشاءُ من عبادِهِ والعاقبةُ للمتقينَ.

وتوفيَ النبيُّ عليهِ السلامُ واختارَ المسلمونَ أبا بكرٍ الصديقَ خليفة له كما قدمنا فبادرَ الخليفةُ إلى إرسالِ القواتِ لقتالِ المرتدينَ فأرسلَ عِكْرِمةَ بنَ أبي جهلٍ إلى مسيلمةَ، وكانَ مسيلمةُ قد اشتدَّ أمرُهُ، والتفَّ حولهُ أربعونَ ألفِ مقاتلٍ من بني حنيفةَ باليمامةِ.

ومضى عِكرمةُ إلى اليمامةِ وقد شدَّ الخليفةُ أزرَهُ بشُرَحبيل بن حسنةَ، وكان عكرمةُ بطلاً مجرباً، وفارساً مغواراً، وقد اجتمعَ تحتَ لوائهِ أبطالٌ لهمْ في الحروبِ بلاءٌ، ولكنهُ لم يثبتْ لقوتِهمْ وتقهقرَ جيشُهُ

أمامَ قواتِ بني حنيفةَ فلما علمَ الخليفةُ بهزيمةِ عِكرمةَ حزنَ وكتبَ إلى عكرمةَ يؤنبهُ ثم أمرهُ بالتوجهِ إلى قتالِ المرتدينَ في عُمان، وألاّ يعودَ إلى المدينةِ مخذولاً فيوهنَ عزائمَ الناسِ ثم بعدَ أنْ ينتهيَ من المرتدينَ في عمان يسيرُ وجندهُ إلى المرتدينَ باليمنِ وحضرموت.

كما أمر شرحبيلَ بن حسنةَ بأن يبقى حيثُ هوَ دونَ أن يستأنفَ القتالَ ضدَّ بني حنيفةَ حتى يأتيهُ أمرُهُ.

ولما قفلَ خالدُ بنُ الوليدِ من قتالِ فئةٍ من المرتدينَ. أرسلهُ إلى مسيلمةَ. مع عددٍ وافرٍ من القواتِ، وخرجَ الناسُ مع خالدٍ وهمْ مصممونَ على أن يتخلصوا من مسيلمةَ، وأن يردّوا بني حنيفةَ إلى الإسلامِ مهما كانَ الثمنُ غالياً.

وخرجَ خالدٌ بجيشهِ في تعبئةٍ جيدة فكانَ على رأسِ الأنصارِ ثابتُ بنُ قيسٍ، والبَراءُ بنُ عازبٍ؛ وعلى المهاجرينَ أبو حذيفةَ، وزيدُ بنُ الخطابِ، وعلى كلِّ قبيلةٍ فارسٌ من خيرةِ الفرسانِ شجاعةً وخبرةً وشهامةً وإقداماً.

وكانَ الخليفةُ قدْ كتبَ إلى شُرَحبيل الذي كانَ مقيماً مع جيشهِ قربَ اليمامةِ أن يقاتلَ مع خالدِ بنِ الوليدِ فإذا نصرهمُ اللهُ على بني حنيفةَ وانتهى أمرُ مسيلمةَ، فعليهِ أن يسيرَ مباشرةً نحوَ قبيلةِ قضاعةَ فيلتقي بعمرِو بنِ العاصِ لقتالِ المرتدينَ هناكَ.

وسارَ خالدُ بنُ الوليدِ نحوَ اليمامةِ لمحاربةِ مسيلمةَ وكانَ قد قاتلَ المرتدينَ في مواطنَ أخرىٰ وأخضعهمْ.

وحينَ شارفَ اليمامةَ نزلَ بجنودِهِ قريباً منها، وأرسلَ العيونَ ليأتوهُ بأخبارِ مسيلمةَ وقومِهِ فعادُوا

ليخبروهُ. بأنَّ بني حنيفةَ قد استعدُّوا للقاءِ خالدٍ استعداداً كاملاً وأنهمْ في جموعٍ كثيفةٍ هناكَ.

وكانَ مسيلمةُ قد أباحَ لبني حنيفةَ ومنْ تبعهُ من القبائلِ الأخرى أموراً كثيرةً ومنها القرآنُ، وأسقطَ عنهم الزكاةَ كما أسقطَ عنهم بعضَ الصلواتِ، ليترضّاهمْ و يتألفُهُمْ، وكانُ يصانعُ أولئكَ الذينَ يجدُ فيهمْ بعضَ التمردِ عليهِ، واستطاعَ مسيلمةُ أن يستميلَ إليهِ (نَهاراً الرَّجّال) وكان (نهارٌ) هذا قد وفدَ على النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ وأسلمَ وأقامَ في المدينةِ يقرأ القرآنَ، و يتفقهُ في الدينِ، واطّلعَ على أصولِ الإسلامِ، ولازمَ النبيَّ عليهِ السلامُ مدةً طو يلةً وحينَ رأى النبيُّ أن (نهاراً) يصلحُ لإرشادِ الناسِ إلى الدينِ الجديدِ أرسلَهُ إلى أهلِ اليمامةِ، يفقههمْ في الدينِ، و يشرحُ لهمْ ما همْ في حاجةٍ إلى شرحهِ

وبيانِهِ، كما كانَ يحثهمْ على التمسكِ بقواعدِ الدينِ والإنصرافِ عن مسيلمة وظلَّ كذلكَ حتى احتلَّ مكانةً في نفوسهمْ، وحينَ استطاعَ مسيلمةُ أن يستميلَهُ إليهِ شهدَ لهُ أمامَ جموعِ بني حنيفة أنهُ سمعَ الرسولُ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ يقولُ: إنه قد أشْرِكَ معه مسيلمةُ بالنبوةِ، فصدقهُ بنو حنيفةَ.

وكانَ رجلٌ آخرُ اسمهُ طليحةُ النمريُّ قد ادّعى النبوةَ أيضاً، فسافرَ نحوَ اليمامةِ ليقابلَ مسيلمة فلما دخلَ المدينةَ قال لبعضِ الناسِ: أين مسيلمةُ قالوا لهُ: إسكتْ، قلْ: أينَ رسولُ اللهِ، فقالَ طليحةُ، لن أقرَّ لهُ بالرسالةِ حتى أراهُ، فلما التقيا، سألَ طليحةُ مسيلمةَ: من يأتيكَ بالوحيِ؟ فقالَ مسيلمةُ: رَحْمانُ فقالَ طليحةُ هل يأتيكَ في الليلِ أم في النهارِ، فقالَ مسيلمةُ: لا بل في الليلِ، فقال طليحةُ: أشهدُ أنك

لكذابٌ وأن محمداً لصادقٌ، لكنَّ كذّابَ ربيعةَ أحبُّ إلينا من صادقِ مضرَ، ثم اتفقَ مع مسيلمةَ على التعاونِ معاً وانضوىٰ تحتَ لوائِهِ ليقاتلَ معه هو وقومُهُ.

وجاءَتِ المخبرونَ إلى مسيلمةَ يطلعونهُ على دُنُوِّ خالدِ بنِ الوليدِ والمسلمينَ من اليمامةِ، فأقامَ معسكراً في بقعةٍ خارجَ اليمامةِ يقالُ لها /عَقْرباء/ ودعا أتباعَهُ وأنصارَهُ أن يوافوهُ إليها بسلاحِهِمْ وعتادِهِمْ فأقبلَ أتباعُهُ سراعاً يلبونَ نداءَهُ.

و بينما كان بعضُ جنودِ خالدِ بنِ الوليدِ في مهمةٍ لهمْ بعيداً عن معسكرِهِمْ إذا بهمْ يلتقونَ بجماعةٍ من بني حنيفةَ وعلى رأسهمْ رجلٌ منهمْ اشتهرَ بالشجاعةِ اسمُهُ (مُجّاعةُ بنُ مرارةَ) خرجوا في طلبِ ثأرٍ لهمْ في بني عامرٍ وكان (مُجّاعةُ) من أتباعِ مسيلمةَ

ولكنهُ آثرَ أن يدركَ ثأرَهُ قبلَ أنْ ينخرطَ في قتالِ خالدٍ ومَنْ جاءَ معهُ من المسلمينَ وذهبَ مُجّاعَةُ لشأنِهِ والتقى بغرمائِهِ من بني عامرٍ وأدركَ ثأرَهُ منهم، ثم أمرَ جماعتَهُ بالعودةِ إلى مسيلمةَ للقتالِ إلى جانبِهِ.

وأقبلَ المساءُ عليهِمْ وكانوا قد ثبتوا فتوقفوا عن المسيرِ واستراحوا، وأدركتهُمْ غفلةٌ فناموا، وأرسانُ خيولِهِمْ بأيديهِمْ.

وأدركهُمْ جنودُ خالدٍ فوجدُهمْ نياماً، فأيقظوهُمْ واشتبكوا معهمْ في معركةٍ ضاريةٍ، وطلبوا منهم تركَ مسيلمةَ والعودةَ إلى مبادىء الدينِ فرفضوا، واستُؤنفَ القتالُ، وكثرَ الأسرىَ من جماعةِ مجّاعةَ أصحابِ مسيلمةَ ثم استسلموا جميعاً فأتَوْا بهم إلى خالدِ بنِ الوليدِ فقالَ لهم خالدُ: ما تقولونَ قالوا: منّا نبيٌّ ومنكم نبيٌّ.

ولقد أثَّرَ استسلامُ مُجاعةَ وجماعَتِهِ تأثيراً شديداً على قواتِ مسيلمةَ أو رأوا فيهِ نذيرَ شرٍّ وتوهيناً لقوَّتِهِمْ وإضعافاً لصفوفهِمْ.

وأمرَ خالدٌ جنودَهُ بالتقدمِ نحوَ اليمامةِ، وقد استبقَى مُجّاعةَ مُقَيَّداً.

وتقدمَ خالدُ بنُ الوليدِ بجنودِهِ نحوَ اليمامةِ وتراءى الفريقانِ لبعضهما، وكانتْ رايةُ المهاجرينَ مع سالمٍ مولى أبي حذيفةَ، ورايةُ الأنصارِ مع ثابتَ بنِ قيسٍ، وكلاهما من شجعانِ العربِ، وكانتِ الفرقُ الأخرى قد استعدتْ والراياتُ تخفقُ فوقَ رؤوسِ الجنودِ.

وكان مُجّاعةُ قائدُ الطليعةِ في جيشِ مسيلمةَ مقيداً ومطروحاً خلفَ القواتِ المسلمةِ المحاربةِ.

واشتبكَ الناسُ واقتتلوا قتالاً شديداً، وكانَ بنو حنيفةَ ومَنْ والاهمْ من المرتدينَ ذوي بأسٍ وشدةٍ، فقاتلوا قتالاً ضارياً، واشتدَّ الأمرُ على المسلمينَ، وزُلْزِلُوا، ورغمَ استبسالِهِمْ في القتالِ حلتْ بهمُ الهزيمةُ، فاندفعَ، بنو حنيفةَ وراءَ المسلمين حتى انتَهْوا إلى خيمةِ خالدٍ وفيها مُجَاعةُ مقيداً كما قلنا سابقاً.

فتركَ خالدٌ الخيمةَ، ودخلَ رجالٌ من جنودِ مسيلمةَ خيمةَ خالدٍ، فوجدوا مُجاعةَ هناكَ ولم يجدوا خالداً، فزجرهمْ وكفَّهمْ عن دخولِ الخيمةِ وأمرهمْ ألاّ يقتربُوا من المكانِ الذي هو فيه فاستطاعَ أنْ ينقذَ بذلك عدداً كبيراً من أفراد معسكر المسلمينَ الذينَ جعلهمْ في جوارِهِ وفي حمايته، ولم يستطيعْ قومُهُ من بني حنيفةَ أن يصنعوا شيئاً سوى تمزيقِ الخيامِ بالسيوفِ تمزيقاً كاملاً.

وحينَ عادَ المسلمونَ إلى هدوئِهِمْ و بعد أن حلَّت بِهِمْ هذه الهزيمةُ المتكرةُ أخذَ بعضهمْ يحضُّ بعضاً على القتالِ والثباتِ.

ونادىٰ ثابتُ بنُ قيسٍ جموعَ المسلمينَ قائلاً: بئسما عَوَّدْتمْ أنفسَكمْ يا معشرَ المسلمينَ، اللهمَّ إني أبرأ إليكَ مِمَّا يعبدُ بنو حنيفةَ ومن تبعهمْ من أهلِ اليمامةِ، وأبرأ إليك مما يصنعُ رجالُنا فقد انهزموا أمامَ عدوهمْ دونَ أن يقوموا بما يجبُ عليهمْ من صادقِ القتالِ، وأخذَ ثابتُ بنُ قيسٍ يقاتلُ أهلَ اليمامةِ بضراوةٍ وبسالةٍ. ويجالدهمْ بالسيفِ و يقولُ لأصحابِهِ ورجالِهِ المقاتلينَ يا أهلَ القرآنِ، لقد بطلَ السِحْرُ اليومَ، وظهرَ الحقَّ وزَهَقَ الباطلُ، إن الباطا كانَ زهوقاً.

وحفرَ ثابتُ بنُ قيسٍ في الأرضِ مكاناً ثبَّتَ فـ

قدميهِ وهوَ يحملُ لواءَ الأنصارِ، وقد تحنَّطَ وتكفَّنَ وظلَّ يقاتلُ دونَ أن يتزحزحَ من مكانهِ، ويمرُّ بهِ المقاتلونَ من بني حنيفةَ فيظنونَهُ طعناتٍ مميتةً وهوَ يردُّ طعناتِهِمْ بأشدَّ منها حتى اثمنَه بالجراحِ، واستُشْهدَ.

ونادى أبو حذيفةَ وهو يقاتلُ: يا أهلَ القرآنِ، زينوا القرآنَ بالفِعالِ، وحَمَلوا على المرتدينَ حتى أبعدوهمْ نحو منازلِ اليمامةِ.

وكانَ زيدُ بنُ الخطاب أخو عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهما بين المقاتلينَ: وحينَ رأى تكاثرَ بني حنيفةَ، واستبسالَهُمُ في القتالِ صاحَ في المسلمينَ: أيها الناسُ إعَضُّوا على أضراسِكمْ، واضربوا عدوَّكمْ، وامضوا قُدُماً واللهِ لا أتكلمُ حتى يهزمَهُمْ اللهُ! أو ألقى الله بدمي، ثم خرجَ إلى القتالِ، فلقيَ أولَ من لقي (الرَّجَّالَ) الذي ارتدَّ وصارَ إلى مسيلمةَ

بعدَ أنْ تفقّه في الدينِ، وقرأ القرآنَ ولكنهُ آثرَ مغانمَ الدنيا فانحرفَ وانحازَ إلى مسيلمةَ فكانَ انحيازُهُ ذا أثرٍ كبيرٍ في مجرى المعاركِ والنضالِ ضدَّ المرتدينَ بلْ كانَ عملُهُ هذا أخطرَ من قيامِ مسيلمةَ نفسِهِ بهذهِ الرِدَّةِ الكريهةِ.

ولقد كانَ أبو هريرةَ عندَ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ في حياتِهِ مع رهطٍ منَ المسلمينَ، ومعهم الرَّجالُ هذا الذي تحدْثنا عنهُ فقالَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ: إنَّ فيكم رجلاً ضِرسُهُ في النارِ أعظمُ من أحدٍ، قالَ أبو هريرةَ لقد ماتَ الكثيرونَ ممنْ كانوا في ذلكَ الموقفِ وبقيتُ أنا والرَّجالُ، وكنت متخوفاً، حتى خرج الرَّجالُ مع مسيلمةَ، وشهدَ له بالنبوةِ، فكانَ عملُ الرجالِ أسوأ وأدهى وأعظمَ من فتنةِ مسيلمةَ.

قلنا إن زيداً بنَ الخطابِ هاجَمَ الرّجالَ هذا هجوماً عِنيفاً فلم يثبتِ الرّجالُ وما لبثَ زيدٌ أنْ قتلَهُ.

واستمرَّ زيدٌ يقاتلُ بالبسالةِ المعروفةِ فيهِ وفي أخيهِ عمرَ حتى استُشْهِدَ رحمهُ اللهُ.

وقد تأثَّرَ عمرُ رضيَ اللهُ عنه لمقتلِ أخيه زيدٍ وخاطبَ أبنَهُ عبدَاللهِ بعدَ عودتِهِ من حربِ اليمامةِ قائلاً: كان من الخيرِ أن تُقْتَلَ يا بنيَّ قبلَ عمكَ زيدٍ، كيفَ يقتلُ زيدٌ وأنتَ حيٌّ. فقالَ عبدُاللهِ بنُ عمرَ: قد حرصتُ أنْ استشهدَ دونَ عمي زيدٍ يا أبتِ ولكنَّ نفسي تأخرتْ، فأكرمَهُ اللهُ بالشهادةِ.

وتوقفَ الناسُ عن القتالِ فترةً منَ الوقتِ وكُثَر خلالَها اللغطُ والتلاوُمُ فأهلُ الباديةِ من المسلمينَ

أخذوا يلومونَ أهلَ المدنِ و ينسبونَ إليهم التقصيرَ في القتالِ وكذلكَ راحَ أهلُ المدنِ يكيلونَ للبداةِ بنفسِ الكيلِ، واشتدَّ الخلافُ والتلاومُ وأخذتْ كلُّ فئةٍ تسندُ إلى الأخرى أسبابَ الانكفاءِ والتراجعِ، وكادتِ الفتنةُ تستشري بينَ المهاجرينَ والأنصارِ.

وبينَ فترةٍ وأخرى كانتِ المعاركُ تنشبُ بينَ الفريقينِ فتكونُ مرةً على المسلمينَ ومرةً على المرتدينَ، وأخيراً أراد خالدُ بنُ الوليدِ قائدُ الجيشِ أن يحسمَ الخلافَ قبلَ أن يشتدَّ وكانتِ الضحايا من المهاجرينَ والأنصارِ تزيدُ على ضحايا المقاتلينَ من أهلِ الباديةِ.

وخشيَ خالدٌ مَغَبَّةَ هذهِ الحالةِ ورأى أن يتخذَ طريقةً أخرى علّها تكونُ أجدى وأنفعَ فطلبَ من الجنودِ أن ينضويَ كلُّ جنديٍّ تحتَ لواءِ عشيرتهِ،

وحينئذٍ يتبينُ للناسِ جميعاً من همُ الذينَ يتقاعسونَ خلالَ نشوبِ المعاركِ، و يعرفُ الجميعُ من هي الفئاتُ التي لا تقاتلُ. فيظهرُ المحسنُ والمسيء، والشجاعُ والجبانُ، والمقدامُ والمتخاذلُ.

و وقفَ كلُّ مقاتلٍ تحتَ رايةِ جماعةٍ. فقاتلوا جميعاً دونَ تخاذلٍ وكانتْ كلُّ فئةٍ تقاتلُ وتظنُّ أنَّ الفئةَ الأخرى سوفَ يظهرُ عجزُها وتخاذُلها عندَ اشتدادِ القتالِ.

استمرَّ القتلُ، وثبتَ بنو حنيفةَ وعلى رأسهمْ مسيلمةُ الكذابُ، وقاتلَ المسلمونَ قتالاً عظيماً، وعرفَ خالدٌ أنَّ المعاركَ لن تنتهيَ إلاّ بالقضاءِ على مسيلمةَ.

فبرزَ خالدٌ من بينِ صفوفِ المسلمينَ وتقدمَ حتى

أصبحَ بينَ العسكرينِ، ودعا المرتدينَ للمبارزةِ، وقالَ بأعلى صوتِهِ: أنا ابنُ الوليدِ، ودعاهم للمبارزةِ ونادى واممداه، فبرزَ له أحدُ المرتدينَ فأرداهُ خالداً وَبرَزَ له آخر فأرداهُ ثم التقى الجمعانِ. ودارتْ رحى الحربِ وطحنتْ عدداً لا يحصى من الفريقينِ.

وكانَ مسيلمةُ يديرُ رحى المعاركِ و يبذلُ قصارى جهدهِ في أنْ يتغلبَ على جيشِ المسلمينَ، وعلى قائدِهِمْ العظيمِ خالدِ بنِ الوليدِ سيفِ الإسلامِ والبطلِ الذي لا يشقُّ له غبارٌ.

واستشهدَ عددٌ كبيرٌ من القراءِ من المهاجرينَ والأنصارِ، وكانَ هؤلاءِ قد حفظوا الكثيرَ من آيِ الذكرِ الحكيمِ.

وكانَ مسيلمةُ يدفعُ رجالَهُ لمبارزةِ خالدِ بنِ

الوليدِ ظاناً أنه قد يفلحُ أحدهُمْ في القضاءِ عليهِ فيتفرق المسلمونَ بعد مقتلِ قائدهمْ، ولكنَّ خالداً كانَ كالجبلِ الشامخِ لا تنالُ منه السيوفُ، وكانَ نصيبُ كلِّ مبارزيهِ الموتَ مضرجينَ بدمائهمْ.

وشعرَ مسيلمةُ بالخزيِ لعدمِ خروجهِ إلى مبارزةِ خالدٍ وأحسَّ بالنقصِ المهينِ أمامَ بطولةِ ابنِ الوليدِ وحدثتهُ نفسُهُ أن يتقدمَ من بينِ الصفوفِ ليبارزَ خالداً، ولكنهُ ما لبثَ أنِ انكفأ إلى الوراءِ فقدْ كانَ على يقينٍ من أنه لن يعودَ حياً وسيكونُ نصيبُهُ كنصيبِ الآخرينَ الذينَ أذاقهمْ خالدٌ كأسَ الهلاكِ.

وبينما كانَ مسيلمةُ في اضطرابهِ أقبلَ المسلمونَ كالسيولِ واشتبكوا معَ المرتدينَ في حربٍ طاحنةٍ، فتراجعَ المرتدونَ واندحروا إلى أن حالَ الظلامُ بين الفريقينِ المتصارعينِ.

نُسيبةُ الخزرجيةِ

وكانتِ إمرأةٌ من الأنصارِ أسمْها نُسيبةُ وكينتها أم عمارةَ قد أرسلَ النبيُّ ابنَها (حبيب) في وفد من المسلمينَ إلى مسيلمةَ ليدعوَهُ إلى العودةِ إلى الإسلامِ فَقَتَلَ مسيلمةُ حبيباً .

وتولّى أبو بكرٍ الخلافةَ فدخلَ معَ كبارِ الصحابةِ على أمِّ عمارةَ يعزونها في ابنها حبيب فقالَ الخليفةُ رضي اللهُ عنهُ : عَوَّضَكِ اللهُ بابنكَ خيراً يا أمَّ عمارةَ ، إننا واللهِ لنأسى على حبيبٍ كما تأسينَ ، ونألمُ لمصابكِ كما تألمينَ ، وإنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونَ .

فقالتْ نُسيبةُ : لقدْ أحتسبتُهُ عندَ اللهِ يا خليفة

رسولِ اللهِ ولنْ أجِدَ عليهِ ما دامَ في جوارِ ربهِ، وجُلُّ ما أرجوهُ هوَ أنْ يُلحقني اللهُ بهِ وشيكاً، فلقدْ جرَينا معاً لغايةٍ واحدةٍ وهي الاستشهادُ فبلغَها دوني ولمْ أزلْ أنا أجِدُّ لألحقَ بهِ.

فقالَ الخليفةُ: على رِسْلكِ يا أختاهُ: ولْتَدَعِي القتالَ لهؤلاءِ الفتيانِ، فلقدْ قمتِ بقسطكِ كاملاً،.

فقالتْ نسيبةُ: لِيَعْذرْني خليفةُ رسولِ اللهِ إنْ أنا رجوتهُ أن يسمحَ لي بالاستعدادِ للجهادِ في جيشِ خالدٍ، فإنَّ نفسي تواقة إلى خوضِ ميدانِ القتالِ. فقالَ لها الخليفةُ ترَفَّقي بنفسكِ يا أختاه فقالتْ هذا هوَ الذي أريدُهُ، ولا يدفعني إلى الجهادِ إلاّ الرفقُ بهذهِ النفسِ، فاسمحْ لي مرجُوّاً، وسأرافقُ ولدي عبدِاللهِ، ولن يكونَ إلاّ ما يريدُهُ اللهُ فقالَ: ليكنْ ما أردتِ يا أختاه، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ.

ولحقتْ نُسيبةُ بالمقاتلينَ الذينَ هم بقيادةِ خالدِ بنِ الوليدِ والذينَ يحاربونَ مسيلمةَ منذُ مدةٍ من الزمنِ وكانتِ الحربُ ما تزالَ سجالاً بينَ الطرفينِ لا غالبَ ولا مغلوبَ.

واشتركتْ نُسبيةُ منذُ وصولها في القتالِ معَ ابنِها عبدِالله ِ وأبلتْ في المعاركِ بلاءً حسناً ولكنَّ بني حنيفةَ قوم مسيلمةَ كانُوا مشهورينَ بالبسالةِ والعنادِ والبأسِ.

وكانَ المسلمونَ يقاتلونَ المرتدينَ في الشوارعِ والمنازلِ فكانَ بنو حنيفةَ يقاتلونَ قتالَ الضواري وتتساقط القتلى من الطرفين وتصطبغُ بدمائِهِمْ الشوارعُ والدورُ.

وكانَ محكَّمُ بنُ الطفيلِ من فرسانِ المرتدينَ

وشجعانِهمْ، وعزَّ عليه أن يرى فرارَ قومِهِ أمامَ المسلمينَ من قريشٍ والأنصارِ: فصاحَ بهمْ: يا بني حنيفةَ! الحديقةَ، الحديقةَ.

وكانتْ تلكَ الحديقةُ على مقربةٍ منهمْ ويملكها مسيلمةُ، وقد سماها حديقةَ الرحمنِ، وكانتْ كالقلعةِ منيعةَ الجدرانِ، حصينةَ الأركانِ قويةَ البنيانِ فسيحةَ الأرجاءِ.

وأخذَ المرتدونَ من بني حنيفةَ يتجهونَ نحو الحديقةِ متحصنينَ وراءَ أسوارِها وقد تركوا وراءَهُمْ أعداداً غفيرةً من القتلى والجرحى والمسلمونَ يطاردونهمْ.

وحينَ رأى /المحكَّمُ بنُ الطفيلِ/ ما حلَّ بقومِهِ وقفَ مع جماعةٍ من شجعانِهمْ يحمي ظهورَ رجالِهِ

أثناءَ انسحابِهِمْ إلى داخلِ الحديقةِ ولبثَ فترةً يَصدُّ المسلمينَ عن التقدمِ و يقاتلُ أشدَّ القتالِ.

وكانَ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ الصديقِ يقاتلُ في ذلكَ اليوم وكانَ المحكَّمُ بنُ الطفيلِ بعيداً عنهُ غيرَ أنهُ كانَ يرى شدةَ المحكَّمِ ومهارتهِ وضراوتهِ في القتالِ فانسحبَ من الناحيةِ التي كانَ يقاتلُ فيها، وأسرعَ بجوادهِ إلى موضعٍ مرتفعٍ يشرفُ على ساحةِ القتالِ.

وتَحَيَّنَ عبدُ الرحمنِ الفرصةَ، وسمعَ المحكَّمَ يُحرِّضُ رجالهُ على دفعِ المسلمينَ ريثما يلحقُ المرتدونَ بالحديقةِ، وتقدم عبدُ الرحمنِ حتى إذا أصبحَ من المحكَّمِ على بعدِ رميةِ السهمِ أعدَّ قوسَهُ ليرميَهُ.

وظلَّ عبدُ الرحمنِ ينتظرُ الفرصةَ المواتيةَ وهو يرى

ما يفعلهُ المحكَّمُ ورجالُهُ بالمسلمينَ على الرغمِ مما أصابهمْ من الهزيمةِ، ولاحتِ الفرصةُ السانحةُ، ومرَّ المحكَّمُ فرماهُ عبدُ لرحمنِ بسهمٍ وقَع في عنقهِ فقتلهُ.

واشتدَّ القتالُ حولَ حديقةِ الموتِ، وأحاطَ المسلمونَ بالحديقةِ ليحدثوا فيها ثغرةً.

ووقفَ خالدٌ فرأى أنَّ مسيلمةَ تحصنَ وراء الأسوارِ، ولن يستطيعَ المسلمونَ أن يقضوا على فتنتهِ الأثيمةِ إلاّ إذا فُتِحَ أحدُ أبوابِ الحديقةِ من الداخلِ. وكانَ الحراسُ على الأسوارِ لا يقرُّ لهم قرارٌ، وقد أطلقوا شعورَهمْ وأشرعوا رماحَهمْ واستعدوا للدفاعِ عنِ الأسوارِ التي بدتْ وكأنها لا تقهرُ.

ولم ينتظرْ خالدٌ طويلاً إذْ تقدمَ البَراءُ بنُ مالكٍ، وعبدُاللهِ بنُ نُسيبةَ أخو حبيبٍ المقتولِ بيدِ مسيلمةَ،

وانتدبا نفسيهما لفتحِ أبوابِ الحديقةِ، وحملَ المسلمونَ البَراء حتى طرحوهُ فوقَ جدارِ الحديقةِ ورفعوا عبدَاللهِ وفعلوا بهِ ما فعلوا بالبراءِ.

ونظرَ خالدٌ فإذا بشبحٍ قد سبقَ البَراءَ وعبدَاللهِ وهو يتقدمُ نحو أحدِ الأسوارِ و يقاتلُ المرتدينَ بضراوةٍ و بسالةٍ.

واقتحمَ البراءُ وعبدُاللهِ وجماعةُ منَ المسلمينَ جدرانَ الحديقةِ واتجهوا نحوَ بابها الرئيسِيّ، ففتحوهُ. ودخلَ المسلمونَ زمراً تلمعُ في أيديهِمْ السيوفُ، و يطلُّ الموت من حدقِ عيونهِمْ، فاقتتلوا إقتتالاً شديداً وقُتِلُ عددٌ لا يحصى من بني حنيفةَ.

وكانَ السورُ الرئيسيُّ في الحديقةِ لا يزالُ بـ أيدي المرتدين من بني حنيفةَ، وشاهدَ المسلمود مقاتلاً مُسْلِماً كانوا قد شاهدوهُ من قبلُ يتخطى

الأسوار حتى وصلَ إلى هذا السورِ الذي لم يبقَ سواهْ في أيدي المرتدينَ.

وأرسلَ خالد جماعة من رماةِ المسلمينَ ليعينوا الفارسَ الملثمَ، وليكونوا حماةً لظهرِهِ من سهامِ الأعداءِ، ولكن بني حنيفةَ استطاعوا أنْ يحولوا بين هذهِ النجدةِ وبين الفارسِ الملثمِ.

وانتدبَ خالدٌ عبدَالله بنَ نُسيبةَ لنجدةِ الفارسِ وأرسلَ معهُ جماعةٌ من خيرةِ الأبطالِ فتقدموا واشتدَّ القتالُ وهمْ يرونَ أنَّ الفارسَ الملثمَ لا يكادُ يصلُ إليه رجلٌ من بني حنيفةَ إلاّ وكانَ نصيبُهُ الموتَ.

ولما رأى خالدٌ أنَّ القتالَ يشتدُّ أقبلَ بنفسهِ نحوَ موضعِ الرجلِ الملثمِ حتى إذا كانَ على مقربةٍ منهُ علمَ أنَّ مسيلمةَ قد لجأ إلى حصنٍ منَ أمنعِ حصونِ

الحديقةِ وأنَّ بني حنيفةَ يدافعونَ عن مسيلمة أمام هذا الحصنِ.

واشتدَّ القتالُ ضراوةً حينَ قدمَ خالدٌ، وأخذ المسلمونَ يقاتلون قتالاً عنيفاً واشتَّد رشقُ النبالِ، وكلَّ مُسْلِمٍ يودُّ لو كانَ له جناحانَ يطيرُ بهما إلى حيثُ يقفُ الرجلُ الملثمُ.

واستطاعَ خالدٌ أن يكشفَ بني حنيفةَ عن الطريقِ التي توصِلُ إلى مقرِ مسيلمةَ من داخلِ الحديقةِ فأمرَ رجالَهُ أن يقاتلوا فلعلهمْ يتمكنونَ من الوصولِ إلى مسيلمةَ، ولكنَّ مسيلمةَ كانَ قد أحاطَ نفسَهُ بقواتٍ وافرةِالعددِ.

وخشيَ خالدٌ أن يقبلَ الليلُ دونَ أن يصلَ المسلمونَ إلى مسيلمةَ.

وشاهدَ الفارسَ الملثمَ وقد أصيبَ بضربةٍ سيفٍ عَطّلَتْ ذراعَه وأنهُ لا يزالُ يضربُ باليدِ الأخرى فاشتدَّ الغضبُ بخالدٍ وتألمَ كثيراً لهذا الفارسِ البطلِ، وصاحَ بالرجالِ من حولهِ أن يتقدموا لنجده البطلِ المناضلِ.

وتقدمَ خالدَ نحوَ السورِ الكبيرِ وتقدمَ معه المسلمونَ يكبرونَ حتى انكشفَ المرتدونَ عن الطريقِ الموصلِ إلى المكانِ الذي تحصنَ فيهِ الفارسُ.

وصاحَ خالدٌ برجالهِ فازدادَ القتالُ ضراوةً وتقدَّمَ المسلمونَ يبذلونَ أرواحَهمْ لا يبالونَ الخطرَ المحدقَ لهم، فبنوا حنيفةَ قد أحاطوا السورَ الكبيرَ بنطاقٍ من المحاربينَ لا يقتحمُ.

وفكّرَ خالدٌ في أنْ يفعلَ المستحيلَ حتى يصلَ إلى

الفارسِ الملثمِ فإنهُ لا شكَّ في حالةٍ تمزقْ القلبَ وأنَّ جراحهُ تنزفُ، ولم يطلِ الوقتُ حتى وصلَ المسلمونَ إلى المرتفعِ الحصينِ الذي يقفُ عليهِ الفارسُ.

فاقتربَ خالدُ من الفارسِ وأمرَ رجالَهُ أن يحملوا على بني حنيفةَ ليبعدوا الخطرَ عن الفارسَ ما استطاعوا فلقدْ سقطَ السيفُ من يدهِ في اللحظةِ التي وصلَ إليهِ خالدٌ.

ونادىٰ خالدٌ الفارسُ: ارفقْ بنفسكَ أيها البطلُ، ها نحن معكَ، وبين يديكَ، من أنتَ أيها الفارسُ؟ أخبرنا من أنتَ؟

وردَّ الفارسُ بالإشارةِ أنه على مقربةٍ من عدو الله مسيلمةَ المتنبيء الكذابِ وأنَّ الفارسَ الملثمَ يدعوهمْ لشدِّ أزرهِ و يتقدمُ الفارسُ، ثم يحثُّ خالدٌ

المسلمينَ أن يتجهوا إلى حيثُ يرابطُ الفارسُ و يناديهِ خالدٌ إحذْر أيها الفارسُ فإن جماعةَ من بني حنيفةَ يتوجهونَ نحوكَ: و يردُّ الفارسُ بأنه لن يخشى جموعَهمْ وهو يرحبُ بالموتِ.

وشاهدَ خالدٌ على مقربةٍ من الحصنِ الذي تحصَّنَ فيه مسيلمةُ، شاهدَ وَحْشيَّ الذي كانَ فيما سبقَ غلامَ جبيرٍ بن معطمٍ فوعدهُ جبيرٌ أن يعتقهَ وأن يمنحه ما يشاءُ من المالِ إن هوَ قتلَ حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ عمَّ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ فلما قامتْ معركةُ أحدٍ بينَ المسلمينَ والمشركينَ من قريشٍ وأتباعِهِمْ خرجَ وحشيٌّ مولى جبيرٍ وليسَ له همٌّ سوى أن يقتلَ حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ.

وخلالَ المعركةِ استطاعَ وحشيٌّ أن يسددَ حربتهُ على صدرِ حمزةَ على حينِ غفلةٍ منهُ فقتلهُ، وحزنَ

النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ على عمهِ يومئذٍ حزناً شديداً، وقالَ أحدُ المسلمينَ يومئذٍ: ويلٌ لوحشي من النارِ، فردَّ عليه النبيُّ ناهياً إياهُ عن قولِ هذا القولِ وأضافَ أنَّ وحشياً يدخلُ الإسلامَ ويقومُ بعمل يكفرُ عنهُ ما قدْ فعلهُ في حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ.

وتصْدقُ نبوءةُ الرسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ إذ بينما كانَ مسيلمةُ مُتَحصِّناً في أحدِ أبراجِ الحديقةِ كانَ وحشيٌّ يعدُ حربتهُ ويهزها في يدهِ هزاً متوالياً استعداداً لطعنِ مسيلمةَ وهوَ يمنّي نفسَهُ بأنْ يوفقَ إلى ذلكَ فتكونَ واحدةٌ بواحدةٍ يغفرُ اللهُ لهُ مقتلَ حمزه سيدِ شهداءِ المسلمينَ.

ونظرَ خالدٌ إلى بعيدٍ فإذا الفارسُ الذي يقاتلُ داميَ الذراعِ، يقاتل بذراع واحدة وهو لا يكاد

يستمسك من فرطِ ما يعانيه من الآلامِ وما نزفَ منهُ من الدماءِ.

وصاحَ خالدٌ بأحد المقاتلين أنْ يتقدمَ نحو الفارسِ ليدفعَ عنهُ المهاجمينَ من بني حنيفةَ واستطاعَ خالدٌ أن يجمعَ حولَهُ بعضَ المسلمينَ، وتقدمَ يشدُّ أزرَ عبدِالله في هجومِهِ وحملوا جميعاً حملةً صادقةً فكشفوا بني حنيفةَ الذين كادوا يصلونَ. إلى الفارسِ ومنْ كانَ حولَهُ من المسلمينَ البواسلِ، وظلَّ المهاجمونَ يتقدمونَ حتى التقوا بالفارسِ.

وصاحَ خالدٌ مترفقاً يدعو الفارسَ إلى الكفِّ عن القتالِ فإن جراحَهُ تنزفُ ويقتربُ منه طالباً التعرفَ إليهِ ومعهُ عبدُالله.

ويتقدمُ الفارسُ فينزعُ اللثامَ فإذا نُسيبةُ تتقدمُ

نَحو خالدٍ وولدِها عبدِالله ِوعلمَ المسلمونَ ساعتئذٍ أن الفارسَ الملثمَ لم يكن سوى نسيبةَ، وقد أبلتْ في الحرب بلاءً حسناً فطلبَ إليها خالدٌ ورجاها ولدُها عبدُالله ِأن تتأخرَ قليلاً لتضميدِ جراحِها النازفةِ.

ورجعتْ نسيبةُ إلى الصفوفِ الخلفيةِ لتداويَ جراحَها معتمدةً على ابنِها عبدِالله ِوحينَ وصلتْ إلى المقرِّ الذي اتخذَهُ المسلمونَ لإسعافِ الجرحى، غادرها عبدُالله ِمطمئناً إلى أنَّ والدتَهُ أصبحتْ في أيدٍ أمينةٍ وأنَّ جراحَها سوفَ تندملُ قريباً.

فمضى عبدُ الله ِمسرعاً نحوَ خالدِ بنِ الوليدِ ومَنْ حولَهُ الفرسانِ وهمْ يقاتلونَ دونَ فتورٍ وكانوا يرون بينَ فترةٍ وأخرى رجلاً أسودَ قد أمسكَ بيدِهِ حربةً وهوَ يستعدُّ ليطعنَ بها مقاتلاً من بني حنيفةَ يترصدهُ، وأمعنَ خالدٌ في الرجلِ فعرفهُ وصاحَ عبيدَ الله ِها

هوذا وحشي يا عبدَ الله إنهُ يترصدُ مسيلمة لاَ شكَّ في ذلكَ فلقد سمعتهُ مرةً يرجوا الله أن يهيىء له الفرصةَ ليكفّرَ عن ذنبهِ في قتلِ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ.

والغريبُ في المصادفاتِ أن نسيبةَ بنتَ كعبٍ الخزرجيةَ أمَّ عمارةَ وحبيبٍ وعبدِالله كانتْ كذلك في معركةِ أحدٍ تقاتلُ معَ المسلمينَ وعندما كانتْ في مقرِّ الاسعافِ تعالجُ جراحَها سألَها بعضُ مَنْ حضرَ عن بلائِها في أحد فَقالتْ نُسيبةُ:

خرجتُ أولَ النهارِ، وأنا أنظرُ ما يصنعُ الناسُ، ومعي سِقاءٌ لي فيه ماءٌ. فانتهيتُ إلى رسولِ الله وهوُ في أصحابِهِ، الغلبةُ والنصرُ للمسلمينَ. فلما انهزمَ المسلمونَ انحزتُ الى رسولِ الله، فقمتُ أباشرُ

القتالَ، وأَذُبُّ عنهُ بالسيفِ، وأرمي عن القوسِ حتى خَلَصَتِ الجراحُ إليَّ.

وحينَ ثابتْ نسيبَةُ إلى رشدِها سألتْ عن رسولِ اللهِ: قالوا إنهُ بخيرٍ، قالتْ: أرونيهِ حتى أنظرَ إليه فأشيرَ لها إليهِ حتى إذا رأتْهُ قالتْ: كلُّ مصيبة بعدَكَ يسيرةٌ.

ونعودُ الى خالدٍ وأصحابِهِ وقد أحاطوا بالبرجِ الحصينِ الذي استقرَّ فيهِ مسيلمةُ وهمْ يحاولونَ أن يحتلوا الحصنَ مهما كانَ الثمنُ غالياً، إذا بانتهاء مسيلمةَ تنتهي فتنُ المرتدينَ جميعاً.

وكانَ وحشيُّ بنُ حَرْبٍ لا يزالُ في موقفِهِ يترصدُ مسيلمةَ وهو يكمنُ في ركنٍ من الحديقةِ قريبٍ من مستقرِّ مسيلمةَ ولكنهُ لا سبيلَ لهُ إليهِ فقدْ أحاطَ

مسيلمةُ نفسَهُ بعددٍ غفيرٍ من الجنودِ والرماةِ بحيثُ لا يستطيعُ أحدٌ أَنْ يصلَ إليهِ دونَ أن يلقي حتفهُ.

وأقبلَ الليلُ على جميعِ من بالحديقةِ وكلُّ فريقٍ قد استعدَّ ووضع الحرسَ في كلّ مكانٍ كيلا يؤخذَ على غرةٍ وقضى خالد بنُ الوليدِ ليلةً بينَ أعوانِهِ وجنودِهِ يهيءُ للغدِ منَ التدابيرِ ما يكفل لهُ الظفرَ على هذا العددِّ الذي لا تلينُ له قناةٌ.

وفي معسكرِ مسيلمةَ دخلَ جماعةٌ من كبارِ قادتِهِ، دخلوا عليه، وسألوهُ عما قد أوحىَ إليهِ من وحي ليرَوْ ماذا يصنعونَ فقرأَ عليهِمْ بعضَ سخافاتِهِ وتفاهاتِهِ، فعلموا أنهُمْ كانوا ضالّينَ، وإنَّ مسيلمةَ قد أضَلّهمْ وعرفَ مسيلمةُ أن جماعتَهُ قد داخَلَها الشكُ في نبوتِهِ وأنَّها لم تعدْ تؤمنُ بما يقولُهُ وما يدّعيهِ.

وذهبَ فريقٌ من سادةِ بني حنيفةَ الى مسيلمةَ

يقولونَ: أين ما كنتَ تَعِدنا بهِ من أنَّ النَصر سيكونُ حليفَنا وأننا سنمِلكُ الأرضَ ومن عليها، واشتبكوا معهُ في جدالٍ عنيفٍ، وأخيراً قالَ لهم مسيلمةُ: دافعوا عنْ أنفسكمْ فأني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً. وساعتئذٍ علم بنو حنيفةَ أنهم كانوا مضلَّلينَ، وأنهمْ ذهبوا ضحية دَجَالٍ يحبُّ الزعامةَ والتحكمَ في رقابِ الناسِ وأموالِهمْ وأعراضِهمْ ولا شيءَ سوى ذلك.

وكان وحشيُّ بنُ حَرْبٍ يتحينُ الفرصةَ المواتيةَ ليقذفَ بحربتهِ نحو مسيلمةَ، وكانَ المسلمونَ يقاتلونَ بضراوة وكلُّ منهمْ يوَدُّ لو يصلُ الى مسيلمةَ. ولكنَّ مسيلمةَ متحصنٌ في أحدِ أبراجِ الحديقةِ وحولَهُ خاصةُ جنودِهِ وأتباعِهِ يقاتلونَ عنهُ قتالَ الضواري.

وظلتِ الحربُ سجالاً إذ كانَ عددُ المقاتلينَ من

بني حنيفةَ يبلغُ أربعينَ ألفَ مسلّحٍ من خيرة المقاتلينَ وكانَ معَ خالدٍ نخبةٌ من المهاجرينَ والأنصارِ ممن شهدوا معاركَ بَدْرٍ وأُحُدٍ وغيرِهما من المعاركِ الفاصلةِ.

مصرعُ مسيلمةُ

وأمرَ خالدٌ رجالَهُ أن يتقدموا نحوَ البرجِ الرئيسِّ فتقدمَ البَراءُ بنُ مالكٍ، وعبدُ اللهِ بنُ نسيبةَ الخزرجيةِ في طليعةِ المقاتلينَ ونشبتْ معركةٌ ضاريةٌ حولَ البرجِ. واستطاعَ البراءُ أن يتسورَ البرجَ وأن ينحدرَ الى الداخلِ ومعهُ عبدُ اللهِ وجماعةٌ أخرى منَ المسلمينَ واندفعوا نحوَ مقرِّ مسيلمةَ غيرَ أنَّ القوةَ التي كانتْ تحرسهُ لم تمكنهمْ منَ الوصولِ إليهِ.

واستمرَّ القتالُ وخرجَ مسيلمةُ يشرفَ على سيرِ المعركةِ التي دَنَتْ من نهايتِها، وقد ودّع أهلَهُ وأصحابَهُ، وعرفَ أنهُ لنْ يعودَ إليهْم ثانيةً.

وكان وحشي بن حَرْب ينتظرُ بفارغِ الصبرِ هذهِ اللحظةَ فاقتربَ من موقعِ مسيلمةَ بعدَ أن اجتازَ بعضَ الموانعِ حتى أصبحَ على مقربةٍ منهُ ثم صاحَ بأعلى صوتهِ: اللهُ أكبرُ. وقذفَ بالحربةِ بقوةٍ خارقةٍ فمضتْ كالقذيفةِ تشقُّ الفضاءِ، لتنغرسَ في جنبِ مسيلمةَ فيهويَ صريعاً، وصاح وحشي أرجو أن تكفّرَ هذهِ تلكَ.

ويتقدمُ البَراء بنُ مالكٍ وعبدُ الله بن الشيبةَ نحو مسيلمةَ وهما يظنان أنهُ طعنَ طعنةً قاتلةً ولكنهما حينما اقتربا منه، تحامل مسيلمةُ على نفسِهِ ورمى أحدَ المسلمينَ فقتلهُ، وأسرعَ عبدُ الله إليهِ فضربَهُ بالسيفِ ضربةً ألقتهُ على الأرضِ ثم تقدمَ منهُ أبو دجانةَ فأجهزَ عليهِ.

وعلا صراخُ عبدِ الله وَمَنْ حولهُ بالتكبيرِ وتقدمَ

المسلمونَ يجهزونَ على من بقيَ في أوكارِ الحديقةِ وهؤلاءِ لم يكونوا أقلَّ ضراوةً وبعضهمْ لم يصدقْ أن مسيلمةَ قد قتلَ حتى رأوا جثتهُ ملقاةً أمامَ البرجِ الذي كانَ يتحصنُ فيهِ وقد برَّ وحشي بوعدهِ حينَ قالَ: إنه سيقتلُ مسيلمةَ بالحربةِ التي قتَلَ بها حمزةَ بنَ عبدِ المطلبِ.

وأمرَ خالدٌ أنْ يأتوهُ بمُجّاعةَ وهوَ الذي أسِرَ في المعاركِ الأولى وتُرِكَ أسيراً مقيداً وقد استطاعَ أنْ ينقذَ عدداً من النساءِ المسلماتِ في المعركةِ التي تراجعَ فيها المسلمونَ وهُزِموا ولحقَ بهمْ بنو حنيفةَ فكانَ هذا العملُ النبيلُ من مُجّاعةَ له أثرُهُ الطيبُ عندَ خالدٍ، فلما انتهتْ المعركةُ الفاصلةُ طلبَ خالدٌ مُجّاعة فأراهَ بعضَ القتلى كي يتثبتَ من هوياتهمْ.

فمرَّ خالدٌ (بالدّجال) وهو صريعٌ فعرفَهُ مُجاعةُ ثم

مرَّ خالدٌ (بمُحكَّمِ بنِ الطفيلِ) فقالَ خالدٌ هذا مسيلمةُ فقالَ مُجّاعةُ لا يا خالدُ، هذا واللهِ خيرٌ منهُ وأكرمُ، هذا محكَّمُ اليمامةِ، ثم مضى خالدٌ يكشفُ لمجّاعة القتلىَ حتى دخلَ الحديقةَ مما يلي البرجَ الرئيسيَ فإذا بينَ القتلى رجلٌ قبيحُ الصورةِ أخنسُ الأَنفِ فقالَ مُجّاعةُ هذا هو مسيلمةُ، قد فَرَغْتم منهُ فقالَ خالدُ: أهذا الذي حَمَلَكُمْ على أن تعودوا الى عبادةِ الأوثانِ وتتركوا عبادةَ اللهِ. وترتّدوا عن دينهِ؟ فقالَ مُجّاعةُ: قد كانَ ذلكَ يا خالدُ، أسألُ اللهَ أن يساعدنا على نسيانِ ما قدْ مَرَّ بنا.

وقالَ عبدُ اللهِ بنُ عمَرَ وعبدُ الرحمنِ بنُ أبي بكرٍ: يا خالد! ارتحلْ بنا وبالناسِ فانزلْ على الحصونِ وتفقَّدْ من فيها وما فيها، فقالَ خالدٌ وقبلَ كلّ هذا علينا أن ننتهيَ مِمّنْ هُمْ لا يزالونَ خارجَ الحصونِ وفي وقلوبهمْ شيءٌ من النقمةِ والرِدَّةِ.

وأمرَ خالدٌ فتفرقَ الجنودُ يجثونَ هنا وهناكَ فأخضعوا من كانَ لا يزالُ مقيماً على الرِدّةِ ووجدوا عدداً من النساءِ والأطفالِ فأمر خالدٌ بردهمْ الى أهِلهمْ أو من يمتونَ إليهمْ بصلة القرابةِ أو الجوارِ.

ثم نادى خالدٌ جموعَ المسلمينَ للتوجهِ الى الحصونِ.

ذكاء مُجّاعة

وعلمَ مُجاعةُ أن خالداً سوفَ يقضي على مَنْ في الحصونِ. وأرادَ أن يحقِنَ دماء َقومِهِ وأهلِهِ الذين هُمْ على مقربةٍ من موقعِ الحديقةِ فقالَ لخالدٍ: يا أبا سليمانَ إن الحصونَ التي تقصدونَها ملأى بالرجالِ وهمْ أشدُّ ضراوةً من بني حنيفةَ فَتعالَ أَعقِدْ معك صلحاً بالنيابةِ عنهمْ يلزمُنا و يلزمِك، وأنا ضامنٌ لك أن ينزلَ القومُ وأن يرضَوْا بما سنتفقُ عليهِ. قالَ خالدٌ! أصالِحُكَ على كلِّ شيءٍ دونَ النفوسِ، ثم قال مُجّاعة: أَنْطلِقُ إليهم فأشاورهمْ وأتبادلُ معهم الرأيَ ثم أعودُ إليكَ.

وذهبَ مُجاعةُ إلى الحصونِ، واتصلَ بأهِلها فإذا بهِ يجد فيها عدداً كثيراً من اللاجئين من رجالٍ مستضعفينَ ونساءٍ وصبيانٍ، وهمْ في رعبٍ لا يوصفُ يخشوْنَ الأسرَ والسبيَ والاحتلال الذي قد يذهبُ بأموالهمْ و بكل ما يملكونَ.

فأمر مُجّاعة فانتشرَ الرجالُ والنساءُ على رؤوسِ الحصونِ وقد نشرتِ النساءُ شعورهنَّ ولبسن عدةَ الحربِ كالرجالِ وفعلَ جميعُ من بالحصونِ مثلَ ذلكَ، حتى بدتِ الحصونُ وكأنها تعجُّ بالفرسانِ والمقاتلينَ للأشداءِ.

وعادَ مُجّاعة مُسرعاً الى خالدٍ فقالَ له: إنني حدثتهمْ عما دارَ بيننا من أمرِ المصالحةِ فأَبَوْا أنْ يقبلوا بما قبلتُ به إلّا إذا كانتِ المصالحةُ تشملُ كلَّ

شيءٍ، وقد علمتْ بأنهمْ قد استعدو للقتالِ، وأبْوا أن يُناقشوني في التسليمِ غيرِ المشروطِ.

ونظرَ خالد الى رؤوس الحصونِ وقد تغير لونُها فاسودّتْ من كثرةِ ما عليها من المقاتلينَ. وهم في حقيقةِ الأمر نساءٌ وصبيانٌ ورجالٌ عجزوا عن القتال وقد حملوا الرماحَ والسيوفَ ولبسوا عدةَ الحربِ.

وفكّرَ خالدٌ في أن الحربَ قد أنهكتِ المسلمينَ. وأن القضاءَ على مسيلمةَ هو القضاءُ على جميعِ مَنْ في ديارِ بني حنيفةَ من المرتدينَ. وأن هؤلاءِ سيستسلمونَ متى علموا أن سائرَ بنيِ حنيفةَ قد استسلموا وتأكدوا من مقتلِ مسيلمةَ، فلماذا يخاطرُ بالمسلمينَ. وأحبَّ خالدٌ أن يرجعَ الى المدينةِ بالظفرِ والنصر وأن الصلحَ لو تم مع من بقيَ من بني حنيفةَ لا يغيّرُ من أمرِ هذا

النصرِ ولا ينقصُ منهُ. كما أن خالداً رأى أنه قد قُتِلَ من المهاجرينَ والأنصارِ عددٌ ليسَ باليسيرِ.

ورأى خالدٌ من الخيرِ أن يصالحَ مُجاعةَ بشروطٍ معتدلةٍ تمنعُ تجددَ القتالِ، فقبلَ بذلكَ مُجّاعةُ واتفقوا على دفعِ ما ترتّبَ على قومِهِ من زكاة الأموالِ وغيرِ ذلكَ من الأمورِ. فقبلَ مُجّاعةُ بذلكَ وتمَّ الصلح العامُّ بين المسلمينَ والمرتدينَ من بني حنيفةَ.

وفي اليومِ التالي فتحتِ الحصونُ التي جرى بشأنها التفاوضُ بين خالدٍ و بين مُجّاعةَ، فإذا الحصونُ تعج بالناس، وقد حقنتْ دماءهُمْ ودماءُ المسلمينَ من المهاجرينَ والأنصارِ فقال خالدٌ لمجّاعةَ، ويحكَ ما كنتُ أعلمُ أنَّ مَنْ في الحصونِ يبلغُ هذا العددَ، قال يا أبا سليمانَ إنهم قومي، ولم أستطع أن أسلمهمْ للسيوفِ تأكلُ قويهمْ وضعيفهمْ،

فالآنَ عادوا إلى الإسلام ِولم تُرَقْ لهم قطرةُ دمٍ، فماذا ترى فيما صنعتهُ يا خالدُ!.

قال خالدُ نعمَ ما فعلتَ، وقد أَجَزْتُ الصلحَ الذي أمضيناهُ، وأقبلَ بنو حنيفةَ من تِلكَ الحصونِ ومن الحصونِ التي كانتْ قد غرقتْ بدماءِ المقاتلينَ على السواءِ، أقبلوا جميعاً لبيعة أبي بكرٍ بالخلافةِ، وللبراءةِ مما كانوا عليه من رِدَّةٍ كريهةٍ مزَقتْ شملَ المسلمينَ وبذرتْ بذورَ الفتنةِ والتفرقةِ في صفوفِهمْ، فبايعوا جميعاً، وأعلنوا رجوعَهُمْ إلى الإسلامِ، وبراءتَهمْ من الرِدَّةِ.

وطلبَ خالدُ من بني حنيفةَ أن يختاروا من بينهم وفداً يذهبُ إلى المدينةِ وليجددو البيعةَ للخليفةِ أبي بكرٍ الصديقِ رضيَ اللهُ عنهُ فتألفَ الوفد من خيرةِ رجالِ بني حنيفةَ، ومضوا نحوَ المدينةِ.

وحينَ دخلَ بنو حنيفةَ على أبي بكرٍ كانوا في حالةٍ منَ الندمِ لا توصفُ فقد أضلَّهمْ مسيلمةُ حسداً منهُ للرسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، وكانَ غبياً حقاً إذْ ظنَّ أن الرسالةَ أمرٌ يمكنُ أن يدعيَهُ كلُّ مَنْ وجدَ في نفسهِ الرغبةَ إليها، وأنها زعامةٌ ورئاسةٌ تكسِبُ صاحبَها الرفعةَ والشرفَ والفوائدَ الجمةَ وهذا عنده كلُّ ما في الأمر.

واستقبلَهمْ أبو بكرٍ كأبناءٍ خرجوا عن الطريقِ القويمةِ وهشَّ في وجوههمْ كأبٍ يستقبلُ أبناءهُ المتردين النادمينَ، وقال لهمْ مؤنباً: ما هذا الذي كانَ منكمْ فقالوا يا خليفة رَسولِ اللهِ: قد كانَ الذي بلغكَ بسببِ غرورِ مسيلمةَ وانحرافِهِ عن جادةِ الصوابِ.

فقبلَ الخليفةُ منهم عُذْرَهُمْ، وحَسُنَ اسلامُهُمْ

وطابتْ أيامهمْ، وانضمَّ الكثيرونَ منهم إلى جيشِ خالدٍ وغيرِهِ من القادةِ وتابعوا القتالِ ضدَّ من بقيَ من المرتدينَ في البحرين وهي قريبةٌ من اليمامةِ، ومنهمْ من ذهبَ يقاتلُ ضدَّ الفرسِ الذين كانوا يحتلونَ العراقَ.

ولما رجعَ بعضُ المقاتلينَ إلى المدينةِ كانَ بينهمْ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ وكانَ زيدٌ عمُّهُ قد استشهدَ في المعاركَ التي دارتْ في الحديقةِ قبيلَ القضاءِ على مسيلمةَ. فقالَ عمرُ لولدِهِ عبدِ اللهِ. ألا هلكتَ قبلَ زيدٍ، هلكَ زيدٌ وأنتَ حيٌّ، ألا واريتَ وجهكَ عني، فقالَ عبدُ اللهِ: سألَ اللهَ الشهادةَ فأَعِطيها، وجهدتُ أنْ تُساقَ إليَّ فلَمْ أعْطها.

بهذا الإيمانِ كانوا يقاتلونَ فانتصروا. وإن الذي يقاتلُ لأجلِ قضيةٍ يؤمن بها فسوفَ ينتصرُ لا محالةَ،

ولا جدوى مِمَّنْ يقاتلُ لقضيةٍ لا يؤمنُ بها أو يقاتل بلا قضيةٍ.

وبعد معركةِ اليمامةِ التي قِتلَ فيها عددٌ كبيرٌ بالقراءِ وحفظةِ القرآنِ أمرَ الخليفةُ بجمعِ القرآنِ فقد قتلَ منَ الصحابةِ باليمامةِ كثيرونَ من الأنصارِ المهاجرينَ وأكثرهُمْ قد شهدَ معركتَيْ بدرٍ، وأحدٍ أو شهد إحداهما. وممن قُتلَ في معركةِ اليمامةِ ضِرارُ بنُ الأزورِ وهو من خيرةِ المقاتلينَ البواسلِ.

وكان الخليفةُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ قد أصدرَ (منشوراً عاماً) إلى جميع النواحي التي حدثت فيها الرِدَّةُ واستفحلَ العصيانُ يدعو المرتدينَ والعصاةَ إلى الطاعةِ والجماعةِ، ووعظهمْ باللهِ وذكرَّهُمْ بآياتِهِ، وأبانَ لهمْ في صراحةٍ وحزمٍ أن الرسلَ بَشَرُ كسائرِ البشرِ وأن اللهَ أرسلهمْ للإصلاحِ، وأنهمْ يموتونَ كما

يموتُ الناسُ جميعاً وأنَّ اللهَ الحيُّ القيومُ هو وحدَهُ الباقي.

وقالَ لهم في (المنشورِ) المذكورِ: إني بعثتُ خالداً بنَ الوليدِ في جيشٍ من المهاجرينَ والأنصارِ والتابعينَ بإحسانهِ وأمرتُهُ ألا يقاتِلَ أحداً، ولا يقتلَهُ حتى يدعُوَهُ إلى الإسلامِ، فمنِ استجابَ له وأقرَّ وكفَّ وعملَ صالحاً قَبِلَ منهُ وأعانه عليه ومن أَبَىٰ أَمَرْتَ أن يقاتله على ذلك.

أهدافُ الرِدَّةِ

لا نستطيعُ أن نبرىء حركةَ الرِدةِ من أغراضِ الذينَ سعَّروا نارَها ضدُّ الدولةِ الفتيةِ، وضدَّ مقوماتِها الأساسيةِ التي قامتْ عليها، وهيَ الإيمانُ باللهِ، وأداء أُركانِ الاسلام والتمسكُ بهديِ القرآنِ، ووحدةِ الأمةِ والدولةِ.

وكانَ للفرسِ والرومِ واليهودِ مساعٍ واسعةٌ في إشعالِ الفتنِ التي قادتْ الى الرِدّةِ، وذلكَ بالتحريضِ والمعادتةِ. كما أنَّ القبائلَ العربيةَ وزعماءهَا وأعرابَ البوادي الذينَ تقلص سلطانُهُمْ، كانتْ لهمْ أغراض في قيامِ حوادثِ الرِدَّةِ الكريهةِ.

ولا شكَّ في أنَّ أبا بكرٍ كانَ خيرَ رجلٍ يواجهُ الموقفَ الذي أصبحَ فيهِ المسلمونَ بجزيرةِ العربِ بعدَ وفاةِ النبي صلى اللهُ عليهِ وسلمَ، ففضلاً عن أن أبا بكرٍ من أسبقِ الناسِ إسلاماً وأعظمهِمْ إخلاصاً للنبي عليه السلامُ إذْ كانَ معهُ في الغارِ وهما في طريقهما إلى المدينةِ (يثربَ) مهاجرينَ من مكةَ، كما كانَ أبو بكرٍ قويَّ الإيمانِ بالدينِ الجديدِ حتى سمّيَ الصديقَ، وكانَ قويَّ الإرادةِ بارعاً في المجادلاتِ السياسيةِ، وبفضلِ اجتماعِ هذهِ الصفاتِ في أبي بكرٍ بالإضافةِ إلى تقدمهِ في السنِّ استطاعَ أبو بكرٍ أن يتغلبَ على الصعابِ التي اعترضتْ سبيلهُ.

وبعدَ أنْ فرغَ المسلمونَ من تسميتهِ الخليفةِ وتثبيتِ الخلافةِ ثارتِ اضطراباتٌ جسيمةٌ هنا وهناك، لأن بعضَ القبائلِ العربية كَبُر عليها أن

تخضعَ لأبي بكرٍ أو أن تكونَ خاضعةً لقريش، لأنهْمْ يعتقدون أن قريشاً قد سلبت القبائل حرّيتها باسمِ الدينِ. ولهذا فإنهْمْ تمردوا بعد وفاةِ النبيِ صلى الله عليهِ وسلَّمَ ليستعيدوا ما فقدوهُ من استقلالٍ ذاتيٍّ قبليٍّ.

وكانَ كثيرٌ من القبائلِ يرى أن الإسلامَ لم يأتِ ليقيمَ دولةً، وإنما جاءَ كدينٍ، فلما قام أبو بكر باعباءِ الخلافةِ، أيقنوا أنهم أصبحوا خاضعين لسلطةٍ مركزيةٍ يؤدون إليها الزكاة وهم تحتَ رقابتها، وهذا النظام لم تكنْ تألفُهُ القبائلُ العربيةُ الضاربةُ في البوادي وغيرِها.

وقال قومٌ من المتمردينَ نقيمُ الصلاةَ ولا نؤدي الزكاةَ فردَّ عليهمْ أبو بكرٍ ردّاً حازماً بقوله واللهِ لو

مَنَعُوني عِقالاً كانوا يؤدونَهُ إلى رسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم لقاتلتُهُمْ على منعه.

ولا شكَ في أنَّ بعضَ القبائلِ لم تَثْبُتْ في نفوسِهِمْ تعاليم الإسلامِ كما ثَبَتَتْ في نفوسِ المتصلين برسولِ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ من أصحابه من أهل مكة والطائف والمدينة، بل كانت حالَهم كما بيّنَها اللهُ تعالى بقوله: (قالتِ الأعرابُ آمنّا، قُلْ لم تؤمنوا، ولكن قولوا أسلمنا، ولمّا يدخلِ الإيمانُ في قلوبكمْ).

ولهذا كله فقد ظهرتْ حركةُ انتقاضِ بعضِ القبائلِ العربيةِ بعدَ وفاةِ النبي صلى الله عليه وسلم وارتدادِها عن الاسلامِ جزئياً إذا أن هذه القبائلَ التي كانتْ تعبدُ الأوثانَ لم تعدْ إلى عبادةِ الأوثانِ. بل ظهرَ فيها من ادّعى النبوةَ فاتَّبعوهُ..

وهؤلاء الذينَ ادّعوا النبوةَ خلالَ الردَّةِ قد سبق لهمّ أن احترفُوا الكهانةَ وَعلمَ الغيبِ، وأثْرَوْا من هذا السبيلِ وبعضُهمْ أصبحَ ذا جاهٍ سلطانٍ في قومِهِ، يطيعونَهُ في السلمِ والحربِ ويأتمرونَ بأمرِه في كلّ أمرٍ من أمورِ حياتهمْ.

إن دعوةَ النبوةِ التي قامَ بها مسيلمة بنُ حبيبٍ الحنفيُّ والأسودُ العنسيُّ اليمنيُّ، وطليحةُ الأسديّ الجديّ، والكاهنةُ التميميةُ سجاحُ بنتُ الحارثِ. إنما كانتْ رغبةً في التسلطِ والسلطانِ، فكلُّ واحدٍ من هؤلاء كانَ من قبيلةٍ كبيرةٍ ورأى في ادعاء النبوةِ ما يجعلُ قومَهُمْ يتبعونَهُمْ ويسيرونَ في ركابِهِمْ. لا إلى الخيرِ والصلاحِ بل إلى العدوانِ والسلبِ والنهب والسبيِ والاعتداء.

وكانَ من أهدافهمْ الأولى أن يقضوا على

الشريعةِ الإسلاميةِ، وأن تتلاشى سلطة المهاجرينَ الأنصارِ.

كما كانَ أولُ أهدافِ هؤلاء المتنبينَ الكاذبينَ هوَ القضاء على زعامةِ قريشٍ، فالنبيّ صلى الله عليهِ وسلمَ من قريشٍ وقد خلفَهُ في رئاسةِ الدولةِ أبو بكرٍ، وهو من قريشٍ كذلكَ، حتى أن بعضهمْ لم يخجلْ أن يجاهرَ بهذا شعراً فقالَ:

أطَعْنا رسولَ اللهِ ما كان بيننا

فيا لعبادِ اللهِ وَيلنا ما لأبي بكرِ

أيورِثُها بكراً إذا ماتَ بعده

وتلكَ لَعمْرُ اللهِ قاصمة الظهر

ولهذا فقْد إرادتِ القبائلُ العربيةُ عن طريقِ مدعي النبوةِ أن تظفرَ برياسةِ العربِ وزعامتِهمْ، غَضْباً واقتداراً، على عادتِهمْ الجاهليةِ، التي هدمَها

وهزَمها الإسلامُ فقالَ (الناسُ سواسيةٌ كأسنانِ المشطِ، وقالَ إن أكرمَكُمْ عندَ الله ِاتقاكُمْ).

وحينَ تُوُفّيَ رسولُ الله ِصلى عليهِ وسلمَ خلا الجوُّ لأدعياء النبوةِ الكاذبةِ، ولهذا فقده استماتُوا في القتالِ ضدَّ المسلمينَ، حتى لقدْ فقدَ الجيشُ الإسلاميُّ في معركةِ اليمامةِ وحدَها أكثر من ألفِ بطلٍ من خيرةِ أبطالِهِ وذلكَ بسببِ تعصبِ بني حنيفةَ من أجل السيادةِ والسيطرةِ رغمَ إيمانهمْ بأنَّ مسيلمة كذابٌ.

ولهذا فإن عظمةَ أبي بكرٍ يظهرُ مَعْدِنُها الأصيلُ في الموقفِ الخطيرِ الذي وقفهُ تجاهَ المرتدينَ، فقد وقفتِ القبائلُ كلُّها جبهةً واحدةً، ضدَّ الدولةِ الإسلامية الفتيةِ التي كانتْ قليلةَ العددِ والعتادِ، في تلكَ الفترةِ من تاريخها البطوليِّ العظيمِ.

فحركاتُ الردّةِ فتنٌ عمياءُ رعناءُ، ومؤامراتٌ

صاخبةٌ أسهمَ في تقويتِها ودعْمِها دولٌ كالفرسِ والرومِ، كما أيدتْها الجماعاتُ اليهوديةُ في كل مكانٍ من الشامِ واليمنِ، وكانَ هدفُها الطبيعيُّ تدميرَ القوةِ العربيةِ الإسلاميةِ التي تَوَلّى إدراتَها أبو بكرٍ الصديقُ ذلكُ الرجلُ الذي فهمَ حقيقةَ هذهِ المؤامرةِ من أولِ الخطةِ.

وقد أدركَ أبو بكرٍ مبلغَ الخطرِ الذي يتهددُ المسلمينَ إن هوَ استجابَ لرأيِ عمرَ وجمهرةِ الصحابةِ إذا طلبوا منهُ التسامحَ معَ المرتدينَ حتى رَدَّ على عمر بقولِهِ: أتكونُ جباراً في الجاهليةِ وخوّازاً في الإسلامِ.

وكانَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد أعدَّ جيشاً وعَيَّنَ لقيادتهِ أسامةَ بنَ زيدٍ، ليرسلهُ إلى أطرافِ الشام فقدْ عاقَبَ النبيُّ الجالية اليهوديةَ على غدرِها وأعمالِها ضدَّ الدولةِ الإسلامية فأجلاها النبيُّ نهائياً حتى تستروح الجماهيرُ طعمَ الأمن والسلامِ والاطمئنانِ

ولكنَّ هذهِ الشراذمُ أخذتْ تعيثُ فساداً فعزمَ أن يرسلَ إليها جيشاً وكانَ هذا الجيشُ هو جيشُ اسامةَ بنِ زيدٍ فلما توفي النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ وعزمَ أبو بكرٍ على إرسالِ جيشِ إسامةَ طلبَ عمرُ بنُ الخطابِ أن يصْرَفَ النظرُ عن إرسالِ هذا الجيشِ، فرفضَ أبو بكرٍ رأيَ عمرَ وتوجهَ الجيشُ إلى إنجازِ مهمتهِ فكانَ ذلكَ التصميمُ مُفِيْداً كلَّ الفائدةِ في رَدْعِ اليهودِ وغيرِهمْ من عملاء الرومِ لأنَّ الرومَ كانوا قد اعتمدوا على بعضِ العربِ في صدِّ القواتِ الإسلاميةِ، وعرقلةِ انطلاقِها وقد اشتبكوا معَ العربِ المسلمينَ في عددٍ من المعاركِ كمعركةِ مُؤتَةَ، وذاتِ السلاسلِ وغيرهما.

وكانَ اليهودُ قد غضبوا من إلغاء الربا الذي هو أساسُ أعمالِهم الإقتصاديةِ، وأثْـرَوْا بوساطةِ

الربا إثراء فاحشاً: حتى تكدستْ لديهمْ مبالغٌ طائلةٌ عن طريق الربا، حتى جاء الإسلامُ بحَظْرِهِ وتحريمِ التعاملِ بهِ واعتَبَرَهُ جريمةً خطيرةً ضدَّ المجتمعِ.

ففي حجةِ الوداعِ في السنةِ العاشرةِ الهجريةِ أعلنَ النبيُّ عليهِ السلامُ (إنَّ كلَّ ربا موضوعٌ «أي مُلْغَى»، لكمْ رؤوسُ أموالِكُمْ، لا تظلمونَ ولا تُظلَمونَ) وبهذا ألغي النظام الاحتكاري الربوي اليهودي.

ولهذا فقدْ قامَتْ قيامةُ اليهودِ لأنَّ هذه الفئة تعيش على الربا وعلى مصِّ دماء الشعوب التي تعيش في رعايتها. قامتْ قيامَتُهُمْ ومنذُ ذلكَ اليومِ وهمْ في حربٍ مَع الإسلامِ الذي حَرَّمَ الربا الذي هو أساسُ أعمالِهِمْ في نهبِ الثرواتِ، وسلبِ ما يملكهُ الكادحونَ.

فالردةُ كانتْ تتألفُ إذنْ من جهاتٍ وفصائلَ عدةٍ من القبائلِ العربيةِ الناقمةِ على قريشٍ والمسلمينَ، بالإضافةِ إلى الرومِ والفرسِ واليهودِ وأصحابِ الامتيازاتِ التي ألغاها الإسلامُ جميعاً.

لهذا كلِهِ فإنَّ القضاء على الردَّةِ واخضاعَ المرتدينَ يعتبرانِ نصراً عظيماً على جميع أعداء الحركةِ التقدميةِ الإسلاميةِ. هؤلاء الأعداء اتحدوا لأول مرة يحاولون بكل ما أوتوا من قوة وكيد للقضاء على الحركةِ الإسلاميةِ العربيةِ التقدميةِ.

واتخذَ بعضُ المتزعمينَ النبوةَ وسيلةً لنشرِ سلطانِهِمْ في بلادهِمْ وقد أثارَ إعجابَهم نجاحُ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ خلالَ مدةٍ يسيرةٍ في انهاضِ إمتهِ فعمدوا إلى التشبهِ بالنبيِّ ليصلوا إلى مثلِ ما وصلَ إليه.

فادّعى هؤلاء الزعماء العلمَ بالغيبِ وانهم قد اتصلوا بالجنّ، وجمعوا الأنصارَ والأعوانَ حولَهُمْ وكانَ منهمْ مسيلمةُ الذي مرتْ قصتهُ وانتهى إلى ما إنتهى إليهِ.

وكانَ ثاني هؤلاء الأسودُ العنسي واسمهُ عَبْهَلَةُ ابن كعبٍ، ولُقّبَ بالأسودِ لسوادِ لونهِ، وهوَ من قبيلةِ عَنس، وكانَ في اليمنِ جماعتانِ: الأولى أهلُ اليمنِ الأصليينَ والثانيةُ: الأنباء، وهمْ قومٌ من أبناء الفرسِ باليمنِ وكانَ ملكُ الفرسِ قد بعث بفريقٍ من جندهِ لمعاونةِ سيفِ بنِ ذي يزن ملكِ اليمنِ يومذاكَ على وادِ الأحباشِ الذين أغاروا على اليمنِ محتلينَ، فلما استطاعَ طردَ الأحباشِ ظلّ هؤلاء الجنودُ في اليمنِ، واختلطوا بالعربِ وتزوجوا منهمْ، فسميَ أولادهم بالأبناء.

استطاعَ الأسودُ العنسيُّ أن يشيعَ روحَ التمردِ في قومِهِ ضدَّ المسلمينَ وضدَّ الأبناء على السواء، إذا اعتبرهمْ دخلاء على اليمن، ولو فعلَ هذا فحسبُ لوجَدَ من يُسوغُ عملَهُ ضِدَّ الأبناء، ولكنهُ ادّعى النبوةَ أو هنا موطنُ الخطأ، وقد ساعدهُ على ذلكَ، أنه كانَ في أولِ أمرِهِ كاهناً، يقيمُ بكهفٍ في جنوبِ اليمنِ، فادّعى النبوةَ ليكونَ أقوى على بسطِ سلطتِهِ على بيلادِ اليمنِ وزعمَ أنَّ له شيطاناً يخبرهُ بالغيبِ، وكان يصنعُ حماراً على وجهه كما يفعلُ الكهانُ، والتفَّتْ حولهُ قبائلُ اليمنِ، واحتلَّ صنعاء، وهزمَ الأبناء في عدةِ معاركَ.

وقويَ أمرُهُ وكانَ ذلكَ في آخرِ عهدِ الرسولِ صلى الله عليه وسلمَ، وكانتِ القبائلُ اليمنيةُ قد انضمَّ أكثرُها إلى الأسود فأرسلُ النبيُّ إلى هذهِ القبائلِ أن تكافحَ هذا المتمردُ الدّجالَ.

واستطاعتْ فئاتٌ من المسلمينَ أن يؤلبوا الناسَ على الأسودِ، وكانتْ زوجتُهُ مسلمةً، فانضمتْ إلى المسلمينَ في مناهضةِ زوجِها المتمرِّدِ، وظلّ القتالُ سجالاً بينَ الفريقينِ.

وحينَ بُويعَ أبو بكرٍ بالخلافةِ استأنفَ قتال الأسودِ واستطاعَ قيسُ بنُ مكشوحٍ وفيروزُ الديلمي أن يصلا إلى الأسودِ العنسيِّ فقتلاهُ وانتهتِ الفتنةُ في اليمنِ. وعادَ هذا القطرُ إلى الإسلامِ.

وأما طليحةُ بنُ خويلدٍ الأسديِّ، فقد ادّعى النبوةَ في قومهِ من بني أسدِ بن خزيمةَ، وكانَ يدّعي بأنه إنما يريدُ ان يُدخلَ بعض التعديلِ على الشعائرِ الإسلاميةِ.

ثم صارَ يقولُ: إنَّ جبريلَ يأتيني. وأخذَ يقولُ

أقوالاً و يدّعي أنها وَحْيٌ منَزَّلٌ عليهِ، وأعفى أتباعَهُ من الركوعِ والسجودِ.

وأرسلَ أبو بكرٍ خالداً بنَ الوليدِ لقتالِ طليحةَ فانهزمَ ولحقَ بالشامِ ثم عادَ إلى الإسلامِ.

نتائج حروب الرِدّةِ

لم تقتصر نتائجِ حروب الردةِ على إخضاعِ الأعرابِ المتمردينَ المرتدينَ عن الإسلامِ، وتوحيد شبهِ الجزيرةِ العربيةِ تحت رايةِ المدينةِ الإسلاميةِ، بل كانتْ لها آثارٌ عظيمةٌ في توسيعِ رقعةِ الدولةِ الإسلاميةِ، ونشرِ حضارةِ الإسلامِ خارجَ جزيرةِ العربِ.

إن الفِرقَ الإسلاميةَ التي قاتلتْ في شمالِ جزيرةِ العربِ حدثَ احتكاكٌ بينَها وبينَ الفرسِ على حدودِ العراقِ وبينَها وبينَ الرومِ على حدودِ سوريةَ.

ولقد أدّى هذا التصادمُ بينَ الفرسِ والرومِ من جهةٍ وبينَ الأمةِ العربيةِ التي اتخذتِ الإسلامَ ديناً، إلى انهزام الفرسِ والرومِ وانحسارِ ظلّهما عن البلادِ العربيةِ وتحررِ العراقِ وسوريةَ نهائياً من نير هاتينِ الدولتينِ الكبيرتينِ كما حُرِّرَتْ أجزاء كبيرةٌ من شمالي أفريقية من حكم الرومِ.

فالتقدمُ الإسلاميُّ العربيُّ، كانَ في أدوارِهِ خلالَ خَلافةِ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ كانَ ناشئاً عن حروبِ الردةِ وعندما انتهتْ حروبُ الردَّةِ مضى المسلمونَ في تقدمِهمْ. حتى حرروا البلادَ العربيةَ كلَّها. وانتشرتْ المبادىء الإسلاميةُ. والحضارةُ الإسلاميةُ العربيةُ خارجَ الجزيرةِ إلى الشامِ والعراقِ ومصرَ وشماليِّ أفزيقيةَ ثم امتدتْ إلى فارسَ، فأخذَ الفرسُ يفكرونَ جدياً في الدينِ الجديدِ.

وانقلبتْ الأحوالُ فبعدَ أنْ سخرَ كسرى أمبراطورُ الفرسِ منذ سنينَ من سفراء النبيِّ صلى الله عليهِ وسلمَ ومزّقَ رسالتَهُ التي يدعوهُ فيها إلى الإيمانِ والدخولِ في الدينِ الجديدِ، فها هوَ الشعبُ الفارسيُّ يفكرُ جدياً في اعتناقِ الدينِ الجديدِ.

وكلما تقدمتِ الجيوشُ الإسلاميةُ في العراقِ كانتِ الوثنيةُ تتهاوى على أقدامِ الحركةِ الإسلاميةِ، وتحركتِ الجماعاتُ الفارسيةُ فأخذتْ تطلبُ من حكامِها أن يغيّروا من أسلوبهمْ في الحكمِ ففي الإسلامِ عَدلٌ وديمقراطيةٌ سياسيةٌ واجتماعيةٌ وقواعدُ إنسانيةٌ لا يعرفُها حكامُ فارسَ ولا يقبلونَ بها ففي الإسلامِ (لا فضلَ لعربيِّ على أعجميٍ إلا بالتقوى) وفي الإسلامِ يقفُ الخليفةُ وهو الحاكمُ المطلقُ على المنبرِ يخاطبُ المسلمينَ فيقولُ أيها الناسُ إني قد

وُلّيتُ عليكمْ ولستُ بخيركمْ، فهلْ يوجـدُ في فارسَ وغيرِها من الأمبراطورياتِ مثلُ ما عندَ المسلمينَ من مساواةٍ وعدلٍ، وفي الإسلامِ يقفُ النبيُّ صلى الله عليهِ وسلمَ في حجةِ الوداعِ، يقفُ على المنبرِ فيقولُ: أيها الناسُ: من كنتُ جلدتُ له ظهراً فهذا ظهري فليَسْتَقِد مني، ومن كنتُ شتمتُ له عرضاً فهذا عِرضي فيَسْتَقِد منهُ، ومن أخذتُ له ما لاً، فهذا مالي فليأخذْ منهُ، ولا يخشىٰ الشحناء من قبلي فإنها ليستْ من شأني. ثم نزل وصلى الظهرَ ثم رجعَ إلى المنبر فعادَ إلى مقالتهِ، فادّعىٰ عليهِ رجلٌ ثلاثةَ دراهمَ فأعطاهُ عِوَضَها.

وفي الإسلامِ مساواةٌ لا يوجدُ نظيرٌ لها فالغنيُّ والفقيرُ والقويُّ والضعيفُ أمامَ العدالةِ سواءٌ، وإن عمرَ بنَ الخطابِ هو الذي قال مخاطباً عمرَو بنَ

العاصِ (يا عمرُوا متى استعبدتوا الناسَ وقد وَلَدَتْهم أحراراً.

وفي خلافةِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ جاء جبلةُ بنُ الأيهم وهو ملكُ الغساسنة يومئذٍ فدخلَ على عمرَ، فاستقبلهُ عمر استقبالاً حسناً، وبعدَ أيامٍ خرجَ عمرُ للحجّ فحجَ جبلةُ معه، فبينما جبلةُ يطوفُ بالبيتِ إذ وطىء رجُلُ من فزارةَ على إزارهِ فلطمهُ جبلةُ فهشمُ أنفهُ، فأقبلَ الفزاريُّ إلى عمرَ وشكاهُ، فأحضرهُ عمرُ، وقالَ: افْتَدِ نفسَكَ وإلا أمرتُهُ أنْ يلطمكَ. فقالَ جبلةُ: كيفَ ذلكَ؟! أنا ملكٌ وهو سوقةٌ فقالَ عمرُ: إن الإسلامَ سوّىٰ بينكما في الحدّ فقالَ جبلةُ: كنتُ أظنُّ أني بالإسلامِ أعَزُّ مني بالجاهليةِ، فقالَ عمرُ دعْ عنكَ هذا، فقالَ جبلةُ أنْظِرْني ليلتي فَأنْظرَهُ، فلما جاء الليلُ لحقَ جبلةُ بالرومِ وسافرَ إلى القسطنطينيةِ.

فالعدلُ والمساواةُ يستهويانِ الناسَ وبخاصةٍ أولئك الناسُ الكادحونَ الذينَ يعيشونَ من عرقِ جبينهِمْ وكدِ يمينهِمْ.

ويقولُ أبو هريرةَ: لقدْ خرجَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ منَ الدنيا، ولم يشبعْ من خبزِ الشعيرِ وكانَ يأتي على آلِ محمدٍ الشهرُ والشهرانِ لا توقدُ في بيتهِ نارٌ. وكانَ قوتُهُمْ التمرُ والماءُ، وكانَ رسولُ اللهِ يعصبُ على بطنهِ الحجرَ من الجوعِ.

ولنعُدْ إلى نتائجِ حروب الردَّةِ، فإنَّ من نتائجِها الهامةِ التي يؤكدُّها المؤرخونَ والمستشرقونَ أنَّ الشعوبَ الفارسيةَ التي تخلصتْ من الحكمِ الإقطاعيِّ الأمبراطوريِّ، قد ارتاحَتْ إلى العربِ، واطمأنتْ إلى عدلهِمْ وحسنِ معاملتهِمْ، وبذلكَ انتعشتْ الأحوالُ الاقتصاديةُ، واستتبَّ الأمن في جميع

الجهاتِ، وأقبلَ الفرسُ على التعرفِ على المبادىء الإسلاميةِ، والموازنةِ بينها و بينَ عقائدِهمْ الوثنيةِ التي كانَ الأباطرةُ يفرضونَ استبدادَهمْ باسمِها.

وعندما ذهبَ المغيرةُ بنُ شعبةَ ليفاوضَ /يزدجرد/ أمبراطور الفرسِ، في عهدِ عمرَ شهدَ الجماهيرَ الشعبيةَ، وهي تحييهِ وتحتفلُ بهِ، وقد فاوضَ الأمبراطورَ وحدثَهُ بصراحةٍ وصدقٍ أمامَ وزرائهِ وأعوانهِ بأن مُلْكاً كمْلكِهِ يقومُ على الطبقيةِ والفوارق الاجتماعية والظلمِ والتعسفِ لن يستمرَ طو يلاً وأن العربَ المؤمنينَ بالعدلِ ستكونَ لهم الغلبةُ في النهايةِ.

ولهذا سقطتِ الأمبراطوريةُ الفارسيةُ بعدَ قليلٍ وانطلقتِ الجماهيرُ الفارسيةُ تَسْعىٰ إلى مبادىء الدين الجديدِ الذي تتمثلُ في تعاليمِهِ أرقىٰ ضروب

الاشتراكيةِ النابعةِ من الإيمانِ باللهِ وتحقيقِ الإخاءِ الآدميِ الرفيعِ.

وهكذا أقامَ المسلمونَ حكومةً شعبيةً مستندةً إلى شريعةٍ إلٰهيّةٍ يديرها وليُّ أمرٍ منتخَبٌ مقيدٌ في سلطتِهِ وحُصِرَ عملُ الخليفةِ في وضعِ نظمٍ للأمنِ ولوظائفِ الدولةِ وواجباتِها ولشؤونِ الحربِ دونَ سَنِّ القوانينِ، فالقرآنُ هو مصدرُ التشريعِ.

والخلفاءُ الأوائلُ لم يسكِرْهُمْ سلطانهمْ، ولم يَبحثوا عن النفائسِ والثراءِ، بل ظلوا أوفياءَ الحياةِ الزهدِ والورعِ التي كانَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ قُدوةً لهمْ فيها. فكانوا مثلَهُ، يقصدونَ المسجدَ للوعظِ والصلاةِ ويستقبلونَ الفقراء والمظلومينَ في بيوتهمْ. فتُوفيَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ ولم يتركْ لورثتهِ سوى ثوبٍ وعبدٍ وجملٍ. وقد منعَ فاطمةَ الزهراءَ من أنْ

ترثَ أباها الرسولَ لأنهُ سمعَ الرسولَ يقولُ: نحنُ معاشرَ الأنبياء ِ لا نورثُ، ما تركناهُ صدقةٌ، وقد غضبتْ فاطمةُ ولكنها عادتْ إلى الخليفةِ راضيةً بما أمرَ.

وسارَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ إلى القدسِ ليتسلمَها من أهلِها بناء على رغبتهِمْ فسافرَ من المدينةِ إلى فلسطينَ على بعيرٍ يتناوبُ ركوبَهُ هو ومرافقُهُ. من غيرِ حاشيةٍ أو حرسٍ. وكانَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ يتصدقُ على الفقراء ِ في كلِّ جُمُعَةٍ بما عنده من النقودِ، ولنذكر أنَّ أبا بكرٍ كانَ يأخذُ من بيتِ المالِ خمسةَ دراهمَ مياومة، أيْ ما يعادلُ عشرَ ليرات ٍ سوريةٍ في هذهِ الأيام ِ أو أكثرَ بقليلٍ، وعمرُ ينامُ على دَرَج المسجدِ بين المساكينِ وأحياناً ينامُ في الفلاةِ.

وكانَ الخليفةُ مسؤولاً عن أفعالِهِ، وكانتِ الشريعةُ واحدة للفقيرِ والغنيِّ والسَرِيِّ والعامِّيِّ.

وظلَّ القرآنُ مدة محفوظاً في ذاكرةِ أصحابِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ أي في ذاكرةِ حَمَلَةِ القرآنِ وكانَ هؤلاءِ يحفظونَ بالروايةِ، عن دقة وتقوى، ويحفظونَ كيفَ تتلى كلُّ سورةٍ، وما كانَ من القرآنِ مكتوباً على الجلودِ وورقِ النخلِ لم يَزِدْ عن بعضِ القِطَعِ، فلما قُتِلَ كثيرٌ من القُرّاءِ في معركةِ اليمامةِ رأى الخليفةُ أبو بكرٍ من الحكمةِ أن تجمعَ سُوَرَ القرآنِ في مصحفٍ، فقامتْ لجنةٌ بذلكَ فحفظَ أولُ مصحفٍ عند حفصةَ بنتِ عمرَ رضي اللهُ عنهُ زوجِ الرسولِ صلى اللهُ عليهِ وسلمَ.

وكانَ النبيُّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد نَمّى في العربِ روحَ الجنديةِ، وحَبَّبَ إلى العربِ دعوة الناسِ

إلى الإسلامِ، وكانَ إيمانُ العربِ بأنَّ عبادَ اللهِ الصالحينَ همُ الذينَ يرثونَ الأرضَ يزيدُهمْ قوةً، وكانَ القادةُ يجعلونَ من أنفسهمْ المثلَ والقُدوةَ في كلِّ آنٍ، في السلمِ أو في الحربِ.

وكانَ فنُّ الحربِ غريباً على العربِ. لكنهمْ كانوا في الشجاعةِ والإقدامِ ليسَ لهم نظيرٌ وما لبثَ العربُ أن درسوا النظمَ الحربيةَ لدى أعدائهمْ فصاروا أمهرَ منهمْ وأدهى، وأصبحتْ لديهم كتائبُ منظمةٌ تنظيماً عسكرياً رائعاً.

وعندما كانَ العربُ يدخلونَ بلداً ما كانَ سكانُها من العربِ أو غيرِ العربِ يتقبلونَ حكامَهم الجُدُدَ من غيرِ تذمرٍ لأنهمْ يلمسونَ في هؤلاءِ الحكامِ الوفاءَ بالعهودِ والأمانةَ والابتعادَ عن كلِّ جورٍ.

ولم تؤدِّ الشدةُ التي قوبلَ بها العصاةُ والمتنبئونَ

الكاذبونَ إلى فتورٍ في همةِ المسلمينَ الحربيةِ، بل زادتهمْ قوةً وتصميماً فسارتِ الجيوشُ العربيةُ نحوَ الشمالِ والشرقِ تحررُ الأقطارَ العربيةَ وَتهزمُ جيوشَ المستعمرينَ الفارسيةَ والروميةَ.

وخدعَ هرقلُ ملكُ الرومِ بقوتِهِ إذا كانَ يرى نفسَهُ متفوقاً على المحاربينَ العربِ بما لدى جنودِهِ من حسنِ القوامِ وما لدى ضباطِهِ من تجاربَ عسكريةٍ، وما عنده من مضاء في السلاحِ، وما لديهِ من دورِ صناعاتٍ غنيةٍ، وما في مراكزهِ من سهولةٍ في المواصلاتِ والتموينِ، وكانَ الرومُ يعرفونَ البلادَ معرفةً جيدةً وكانَ البحرُ في قبضتهم، ويملكون ولاياتٍ عامرةً خصبةً، كما كانوا ينظرونَ إلى العربِ أنهمْ جهلاءٌ وفقراء لا يعرفونَ غيرَ الحربِ على الطريقةِ البدوية.

ولكنَّ هرقلَ الرومِ غيرَ رأيَهُ تماماً حينما جاء النباء بحصارِ دمشقِ بعدأ أنْ فتحَ خالدٌ بصرىٰ واستسلمَ قائدُ حاميتِها (رومانوسُ) الذي أعتنق الإسلامَ، فاغتمَّ هرقلُ غماً شديداً.

وكانَ جيشُ هرقلَ ستينَ ألفاً وكانَ جيشُ خالدِ بنِ الوليدِ عشرينَ ألفاً وقد وضعَ خالدٌ كتيبةً من المجنداتِ أمِرَتْ بأنْ تقيمَ خلفَ الجيوشِ وأمِرَتْ بأن تُردِيَ بسهامها كلَّ مسلمٍ يَفرُّ، فلم يحتجن إلى اطلاقِ سهم واحد فإن الجنودَ المسلمينَ كانوا يتقدمونَ مكبرينَ و يقاتلونَ بصولة لا تقاومُ.

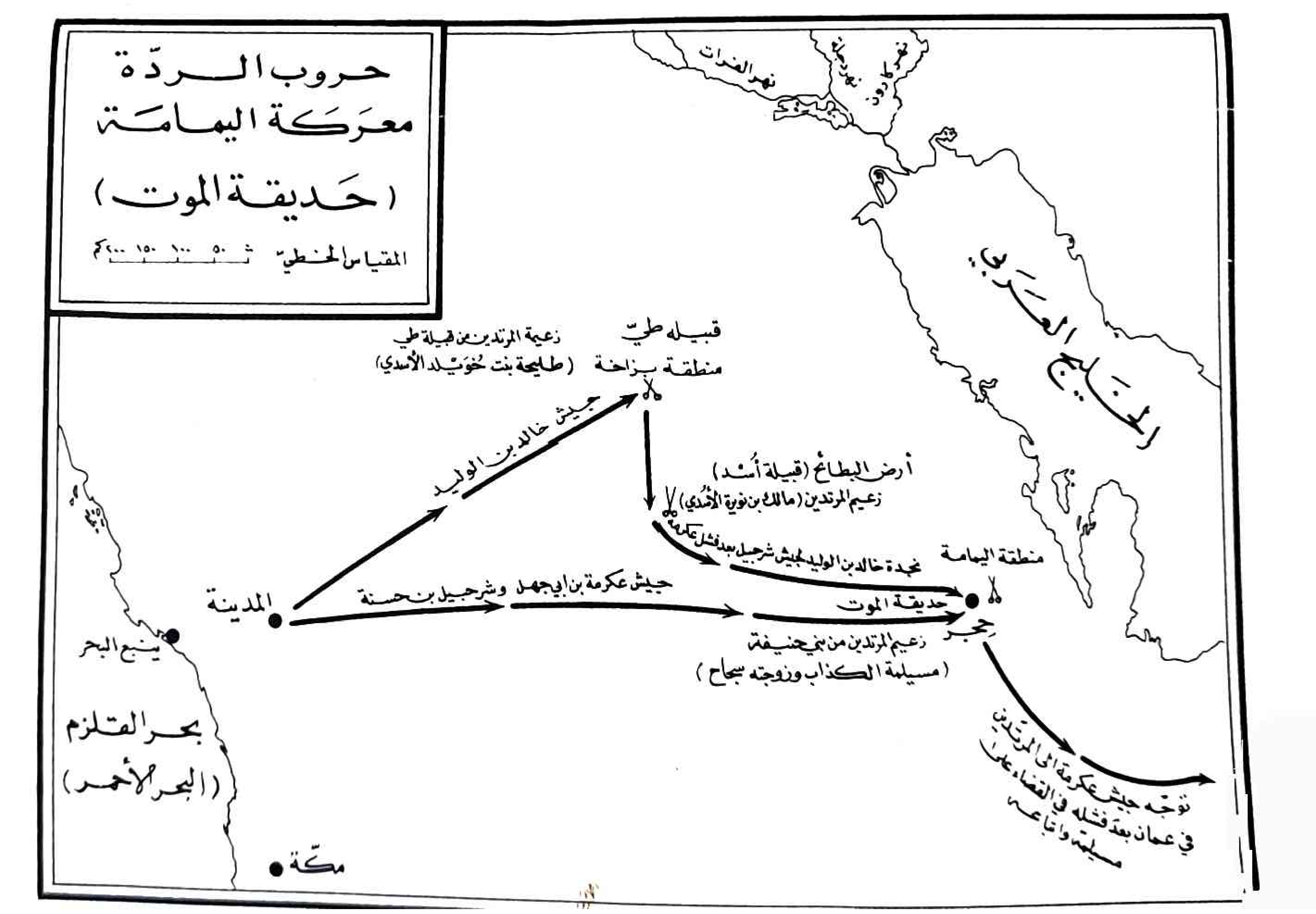
لقد كانَ العربُ في تلكَ الفترةِ من تاريخِهِمْ مثالاً حياً، لحبَ النظامِ وإنكارِ الذاتِ، والنُّبْلِ والشرفِ، وفوقَ كلّ هذهِ الصفاتِ تعلقُهُمْ بالعدالةِ والحقِ والمساواةِ إلى درجةٍ تكادُ لا تصدقُ. وقد

كفلَ الإسلامُ لرعاياهُ الحريةَ والعدالةَ والمساواةَ مما
جعلَ الناسَ جميعاً حتى جماعاتٍ غفيرةٍ من الفرسِ
والرومِ يندفعونَ للانضواءِ تحتَ رايةِ الدولةِ
الإسلاميةِ، وذلكَ بطبيعةِ وبفضلِ أولئكَ القادةِ
والحكامِ الأوائلِ الذينَ نشروا هذهِ المبادىء الرفيعةَ.
وكانوا هم أولَ العاملينَ بها المتمسكينَ بنصوصِها
وروحِها.

حلب ٩٨٢/٦/٢ علي رضا

الفهرس

صفحة



حروب الردّة
معركة اليمامة
(حديقة الموت)
المقياس الخطي ٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠كم
نهر الفرات
نهر دجلة
نهر كارون
الخليج العربي
قبيلة طيء
منطقة بزاخة
زعيمة المرتدين من قبيلة طي
(طليحة بنت خويلد الأسدي)
جيش خالد بن الوليد
أرض البطاح (قبيلة أسد)
زعيم المرتدين (مالك بن نويرة الأسدي)
نجدة خالد بن الوليد لجيش شرحبيل بعد فشل عكرمة
منطقة اليمامة
حديقة الموت
حجر
جيش عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة
زعيم المرتدين من بني حنيفة
(مسيلمة الكذاب وزوجته سجاح)
توجه جيش عكرمة إلى المرتدين في عمان بعد فشله في القضاء على مسيلمة وأتباعه
المدينة
ينبع البحر
بحر القلزم
(البحر الأحمر)
مكّة



اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 03 / شوال / 1445 هـ
الموافق 12 / 04 / 2024 م

سرمد حاتم شكر السامرانـــي

معركة اليـمـامـة

معارك
وبطولات حربية
اسلامية وعربية

أشرف على تحرير هذه السلسلة

الدكتور : صالح الاشتر

الدكتور : عمر الدقاق

الأستاذ : محمد الأنطاكي



معارك وبطولات حربية اسلامية وعربية

الحدث الحمراء	وادي لكه	المنصورة	ذي قار
وادي المخازن	بدر الكبرى	عمورية	الذلاقة
فتح قسطنطينية	عين جالوت	ميسلون	الارك
الجبل الاخضر	اليمامة	نهاوند	احد
بلاط الشهداء	القادسية	اليرموك	حطين

المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية
حلب - المسلمية - المنطقة الحرة -